الدلالة الصوتية

في نهج البلاغة

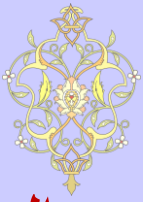

المدرس المساعد

رملة خضير مظلوم

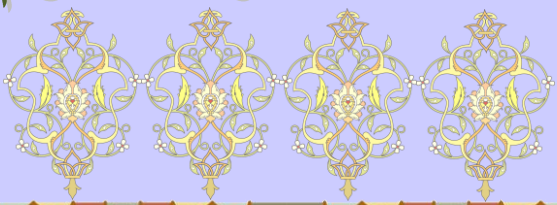

الدلالة الصوتية في نهج البلاغة

المدرس المساعد: رملة خضير مظلوم

الدلالةالصوتية

وهي الدلالة التي تعتمد على الأصوات في نغمها وجرسها[١] وسماها ابن جني (ت٣٩٢هـ) الدلالة اللفظية [٢].

ومن أوائل من أشار إلى المناسبة بين اللفظ ومدلوله أو الصوت وما يدل عليه من علماء اللغة العربية هو الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) الذي رأى أن هناك اتفاقا بين الصوت وما يدل عليه: ((صر الجندب صريرا، وهو صوته، وصرصر الاخطب صرصرة، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدا، وتوهموا في صوت الاخطب ترجيعا))[٣].

---

(١) أنيس(إبراهيم أنيس), دلالة الألفاظ : ٤٦.
(٢) ابن جني , الخصائص, ٣٢٨/٢.
(٣) الفراهيدي , العين: ٥٦/١.

وبعد الخليل نجد سيبويه (ت١٨٠هـ) يشير إلى هذه المناسبة بقوله: (أو قد يختارون كلمتين للمعنى نفسه ويغيرون الحرف منها بآخر مقارب له في المخرج مثال (الغليان والغثيان) فقد ناسب العرب بالصيغة وحركاتها واقع الفعل الذي يعبرون عنه وما فيه من حركة واضطراب)[١].

وأول من بوب الدلالة اللفظية ومثل لها ابن جني (ت٣٩٢هـ) قال: (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الإحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره)[٢].

وممن عبر عن دقة هذه الدلالة السيوطي (ت٩١١هـ) إذ يقول: (فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف

---

(١) سيبويه , الكتاب: ٢١٨/٢.
(٢) ابن جني, الخصائص:٥٠٩/١.

فاوتت العرب هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى، والأسهل والأهمس، لما هو ادني وأقل وأخف عملا أو صوتا، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا، ومن ذلك المد والمط فان فعل المط أقوى؛ لأنه مد وزيادة جذب، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال)[1].

وقد امتاز البيان والتعبير الأدبي عند العرب بخصيصة جمالية يتوخاها الخطيب والشاعر في صياغة ألفاظه وقوة جرسها، حتى أنهم ميزوا هذا الحسن والقبح في نفس الحروف[2].

(١) السيوطي, المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٥٣/١.

(٢) مبارك(زكي مبارك) ,النثر الفني في القرن الرابع الهجري: ٦٤/١.

قال ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) في ذلك:(واعلم انه يجب على الناظم والناثر أن يتجنبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف)[١].

(ولما كان لكل صوت من أصوات الحروف طبيعته النغمية الخاصة به، فمن الطبيعي والحالة هذه أن ينسجم مع بعض الأصوات دون بعض ؛ولذا ان ترتيب حروف اللفظة الواحدة يجب أن يراعى فيه انسجام أصوات حروفها، ويكون بناؤها على هذا الأساس)[٢].

وذهب الى مذهب هؤلاء في دلالة اللفظ كثير من المحدثين منهم العلايلي الذي عمل جدولا بمعاني الحروف العربية وحلل من خلال هذه الحروف المفردة ألفاظا كثيرة[٣]؛ ومثله فعل أمين الله ناصر الدين إذ رسم لنا

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/٢٥٣- ٢٥٤.

(٢) ناجي (مجيد عبد الحميد ناجي), الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٤٩.

(٣) ظ: العلايلي (عبد الله العلايلي), مقدمة لدرس لغة العرب: ١١٣-١١٤.

تصورا عن الصوت وما يدل عليه مع النظر إلى ترتيب ذلك الصوت في الكلمة في كتابه (دقائق العربية)[١].

وعلى النقيض من هؤلاء نادى فريق باعتباطية الحدث اللساني وذلك بالقول بالمواضعة[٢]؛ مما جعل بعض المعاصرين يرى: (إنه لا علاقة طبيعية بين الصوت في كلمة وما يدل عليه، وإنما هو عرفي، لذا اختلفت الكلمات أصواتا وكتابة بين لغات العالم)[٣].

ولكن نحن نقول نعم قد لا تطبق هذه الدلالة على جميع الكلم وقد لا يسلم للفظة مدلولها الصوتي دائما لأنها لا تحد بالتعاريف التجريدية التي تحددها بها المعجمات كما

---

(١) وغيرهم كثير منهم: الإنطاكي في (الوجيز في فقه اللغة) واحمد بن عيسى في (التهذيب في أصول التعريب)، ومحمد مبارك في (فقه اللغة وخصائص العربية).

(٢) منهم من القدماء: أمين سنان الخفاجي في (سر الفصاحة) والجرجاني في (دلائل الإعجاز) والفخر الرازي في (التفسير الكبير)، ومنهم محدثين أشهرهم (دي سوسير).

(٣) الداية(فايز الداية), علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق- دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: ١٩.

يقول مراد كامل[1]، إلا أن الجانب الدلالي للأصوات لا يمكن نكرانه، وانه لم ينكره القدماء أو المحدثون، فقد أكدوا جميعا مشاركة الأصوات في تحقيق بعض المعاني فالأصوات مادة اللغة[2]، ونستطيع أن نقول في غير تردد إن للحرف في اللغة العربية إيحاءا خاصا ؛ فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى؛ فانه يدل دلالة إتجاه وإيحاء ويثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به[3].

وقد حدد (إليوت) وظيفة الموسيقى في النص بأنها هي التي تمكن الألفاظ من تعدي عالم الوعي إلى العالم الذي

---

(١) ظ: كامل (مراد كامل) , دلالة الألفاظ العربية: ٢٢، نقلا عن هلال(ماهر مهدي هلال) , جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٩١.

(٢) عكاشة (محمود عكاشة), التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ٢٤.

(٣) المبارك (محمد المبارك), فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الاصيل في التجديد والتوليد): ٢٦١.

يتجاوز حدود الوعي[1]، والموسيقى تلازم التعبير العاطفي، فإن إبتعد النثر عن روح العاطفة ضعف حظه الموسيقي[2].

(وهذه العاطفة التي يستحضرها حديثنا إنما هي عاطفة قوية شاملة لونت رسائل الإمام ولحنت فقراته على إيقاعاتها المهتاجة وانفعالاتها الحماسية التي لم تتوقف عند لغتها في التأثير وإنما تعدت ذلك إلى موضوعاتها وأبنيتها)[3].

والإمام كان شاعرا في رسائله وناظما في كتبه وفرّ لألفاظه عناصر إيقاعات عروضية وهيّأ لفقراته قوالب وزنية[4]، والدلالة في الرسائل ممتدة عن الإمام لأنه المنشئ إلى الآخر(المتلقي) بما يحمل من موروث، ليستفيد منه المنشئ ويكون الرمز أو اللفظة إشارة محضة أو لفظا

---

(١) النويهي(محمد النويهي), قضية الشعر الجديد: ١٥/١.
(٢) مهدي علام وآخرين, النقد والبلاغة:١٦/٢.
(٣) البصير (كامل حسن البصير) ,رسائل الامام علي (عليه السلام):٣٦٠.
(٤) م.ن :٣٦٣.

خاصا لإثارة مدلول أو شيء عند المتلقي على وفق التصور الذي يظنه وعاش فيه ويحسه وصولا إلى الفكرة التي يريد إيصالها، وهذه الفكرة نفسية أو عقائدية في الصفات والأحكام.

وهناك أدوات عمد إليها الإمام في دلالته، أكثر وضوحا وهي الرموز(الألفاظ) والرموز التركيبية(الجمل)، والرموز السياقية وتتمثل في الجو النفسي والعاطفي والصوتي للنصوص اللفظية(المحاكاة الثانوية)[1].

وبهذا ستكون دراستنا لدلالة الصوت في رسائل النهج على قسمين(الرموز المفردة)،و(الرموز التركيبية) متناولين في أثنائها الرموز السياقية:

١ــ دلالة الصوت في اللفظ المفرد: وهي أن يكون بين أصوات الألفاظ والموضوع ملاءمة بحيث يكون فيها تقليد للشيء الموصوف أو وحي إلى الخاطر يصعب

(١) فرحان (علي فرحان) ,لغة الإمام علي(عليه السلام) دراسة وصفية :١٩-٢٠

تحديده ولكنه محسوس. وهذه الخاصية ينظر فيها إلى كل كلمة على حدة وتأثير أصواتها فيها.

٢ــ دلالة الصوت في التركيب: وهي التي ينظر فيها إلى الكلمات متتالية متعاقبة وهذا ما يعبر عنه بالانسجام. وهنا لا ينظر إلى الأصوات المقطعية ونوعها بل إلى تموجات الأصوات والى مقدارها من عدة جمل.

أولاً ـ دلالةالصوت في اللفظ المفرد:

إن للحرف دلالة ووظيفة في تكوين المعنى وتحديده في العربية أظهر وأوضح منها في اللغات الأخرى، فالحرف في العربية ذو قيمة دلالية بارزة، وإنّ استخراج هذه المعاني الكلية التي تقيدها الحروف تحتاج إلى إحصاء شامل واستقصاء طويل[١].

(١) المبارك (محمد المبارك), فقه اللغة وخصائص العربية:١٧٦.

أي إن لكل صوت دلالة خاصة، تحمل في طياتها شيئا من المعنى العام للفظ وبهذا نجد الكلمات تختلف بعضها عن بعض في المعنى تبعا لاختلاف أصواتها[١].

وللكلمات دلالات ترتبط على نحو وثيق بالسياق وعلاقاته فهو الذي يعطي الإضاءة للغرض والقصد[٢].

وجاء انتقاء أمير المؤمنين وإختياره للألفاظ ذات الإيحاء النفسي، والموقع الخاص التي تخشع لها النفوس، ذلك إن كل لفظة قد ارتبطت بدلالة إيحائية خاصة عند الفرد، ومعرفة الإمام لهذه الدلالات حين جاءت مجتمعة بجملها القصار، وكثرة حروف العطف في الموقف الواحد والمواقف المختلفة، والألفاظ ذات الجرس الصوتي مما جعل لواجهة الحدث الذي ينقله الإمام موقعا خاصا في الاعتبار والتدبر والفكر.

---

(١) آل ياسين (محمد حسين آل ياسين), الأضداد في اللغة:٢٧.

(٢) الداية (فايز الداية), علم الدلالة العربي:١٩٥.

وسوف نقف عند طائفة مختارة من الألفاظ ونبين أثر الأصوات في دلالتها وما توحي به من أثر في المتلقي:

أ- جاح:

وجاء منه مصدرإفتعل (إجتاحَ) على(إفتعال) في لفظة(إجتياح)؛إذ وردت هذه اللفظة في كتاب له الى معاوية:((فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ))[1].

وحين النظر إلى هذه المفردة نجد إن دلالتها في معجمات اللغة (الاستئصال)، فالجوح الاستئصال، من الاجتياح، جاحتهم السنة جوحا وجياحة وأجاحتهم واجتاحتهم: استأصلت أموالهم، وهي تجوحهم جوحا وجياحة، وهي سنة جائحة: جدبة[2].

---

(١) نهج البلاغة , تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٦٨/٩.

(٢) ابن منظور,لسان العرب: باب التاء(جوح):٤٠٩/٢.

وقد استعملها الإمام مفضلا إياها على غيرها من المفردات المرادفة لها أو القريبة منها لأنه أراد التعبير عن معنى محدد لا تؤديه المفردات الأخرى، ذلك أنه أراد بها الدلالة على القوة والقسوة التي يمارسها قومهم من قريش للنبي وآله وصحبه أول البعثة.

وهذا ما أدته هذه المفردة بما تملكه من إيحاء بالقوة والقسوة، فيمكننا أن نجد تضافر طائفة من الإيحاءات التي تمنح هذه الكلمة تلك الدلالة، فعلى الرغم من أنها تبدأ بالهمزة فقد جاءت هنا همزة وصل وهي ؛ صوت ضعيف أسقط في هذا التشكيل؛ لذلك لانستطيع الاعتماد عليها في أضفاء قوة.

أمّا الجيم فهي صوت شديد مجهور من أصوات القلقلة[1].

(١) السعران (محمود السعران), علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٦١.

ويرى باحث آخر إنه حرف مرقق لا يكـــاد يكتنـــف بأصوات التفخيم في الكلمـــة الواحـــدة إلا في بضـــع كلمات[١].

والتاء صوت صامت مهموس سني انفجاري[٢]، وهـــذا الانفجار الحاصل في مخرجي الجيم والتاء مـــنح اللفظـــة صفة الشدة.

وكذلك فان للكسرة اثرها المهم في الإيحاء للحـــدث إذ تضفي عليه جوا من الحزن والانكسار والحسرة ويمكننا القول إن الكسرة هي المقابل الصـــوتي للانكســـار[٣]،

---

(١) أنيس (إبراهيم أنيس), الأصوات اللغوية: ٧١.
(٢) السعران(محمود السعران), علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي): ١٩١.
(٣) مزعل (كريم مزعل) , الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: ٥٨- ٥٩. وأهل اللغة يفرقون بين الذُّل والذِل في المعنى، فمنهم من يجعلُ الذِل بمعنى : اللين في الدابة خاصة، والذُّل بمعنى : الخسة والمهانة في الإنسان، لان ما يلحق الإنسان أكثر قدراً مما يلحق الدابة فاختاروا الضمة لقوتها في الإنسان، والكسرة لضعفها للدابة ظ :أبو البقاء ألكفوي,الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): ٤٦٢

وهناك شواهد كثيرة تدعم ذلك في القرآن الكريم قال تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾(البقرة:٦١) وقوله تعالى:﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾(آل عمران:١١٢).

وعقبها المد في الياء فان ذلك يؤدي إلى انفتاح الفم انفتاحا افقيا إلى الدرجة التي هي أشبه بهيأة المشمئز من الشيء ويزداد الاقتراب في الشبه بهذه الهيئة حينما ينتقل الفم فجأة من نطق التاء ذات الكسرة إلى الياء ذات الفتحة الطويلة (المد بالألف) مما يؤدي إلى انتقال الفم من الانفتاح الأفقي العرضي إلى الانفتاح الرأسي الطولي ليوحي بهذه الطريقة الإشارية المتولدة من نطق هذه اللفظة بدلالة النفور[1].

فضلا عما يضاعفه المد بالألف مما له من صفات العمق والجوفية والامتداد في مضاعفة الشعور بعمق الدلالة وإمتداد هذا المعنى إلى أغواربعيدة. وتنبعث جمالية اللفظة وقوتها من الصوت الأخير فيها وهو صوت

(١) ظ: ابن جني, الخصائص: ٤٤/١.

(الحاء) وهذا الصوت الحلقي المهموس الذي يمثل الحدة فالحاء هو الصوت الذي نصدره من حلوقناحين نـــذوق شيئا لاذع الطعم حادا فنتنحنح محاولين أن نخفف مـــن حدته ونحرر حلوقنا من لذعه[1].

أمّا إذا نظرنا إلى مقاطع الكلمة وجدناها ثلاثة:[2]

وـــَ ج / ت ـــِ / ي ح

س ح س/ س ح/ س ح ح س

الأول متوسط مقفل (س ح س) والثاني قصـــير (س ح) والثالث طويل مغلق(س ح ح س).

(١) النـويهي، (محمـد النـويهي), الشـعر الجـاهلي: ٩٦.

(٢) ظ: حسـان(تمـام حسـان) , علـى وفـق مـا جـاء في(مناهج البحث اللغوي): ١٤١.

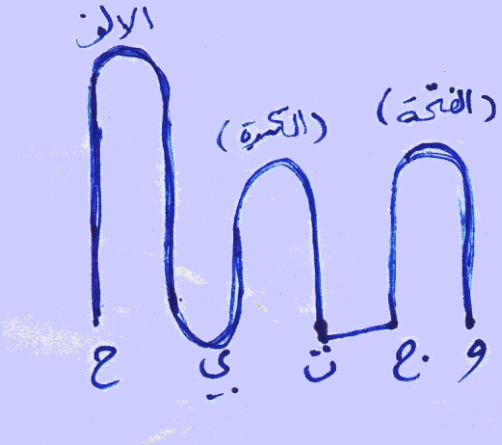

وهكذا نجد إنها تتكون من ثلاثة مقاطع بثلاثة قمم من قمتين صائتتين قصيرتين واخرى صائتة طويلة. ويقع النبر في هذه الكلمة على المقطع الأخير(س ح ح س) مما يزيد من بروز صوت الحاء ويعزز أثره وبذلك تصور هذه الكلمة مدى شجنه الذي يبلغ اقصى شكواه الحزينة .

ولكل هذا نجد أن الإمام قد برع في اختيار هذه اللفظة دون غيرها إذ وضعها في المحل الذي يتم ويكمل بها.

ب- كـــأَدَ

وجاء من الفعل كأد صيغة المبالغة (كؤود) ووردت هذه اللفظة في وصية الإمام علي لابنه الحسن(عليهما السلام): ((واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً)) ويمكن أن نلحظ في أصوات هذه المفردة ما يقارب دلالتها اللغوية فهي من كأد: تكأد الشيء: تكلفه وتكأدني الأمر شق عليّ؛ وفي حديث أبي الدرداء: إنّ بين أيدينا عقبة كؤوداً لا يجوزها إلا الرجل المخِفُّ، والكؤود: المرتقى الصعب[1].

وأصوات اللفظة تصور دلالتها فهي تبدأ بصوت الكاف الذي غالبا ما يرد في النص القرآني للتعبير عن الشدة والارتباط بكل ما هو حركي ذو جلبة وصخب[2] قال تعالى:﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتْ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ (الفجر/٢١) وقوله تعالى:﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (الذاريات:٢٩).

---

(١) ظ: ابن منظور,لسان العرب: باب الكاف، كأدَ:٦/١٢.

(٢) مزعل (كريم مزعل) ,الدلالة الصوتية في القرآن الكريم:٥٤

وقوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى ﴾ (الملك: ٢٢).

انظر إلى الكاف كصوت متمكن في تصوير الحدث حيث الخطى المتعثرة فكلما يقوم يقع وكلما يمشي يتعثر.

يشارك في هذا ضيق مخرج الهواء عند التقاء أقصى اللسان بأقصى الحنك ثم انغلاق المخرج تماما في نطق الصوت وما يصحب ذلك من انفجار[١] منح اللفظة صفة التعثر والصعوبة من الوهلة الأولى ؛ ويلي صوت الكاف (الهمزة) أشق الأصوات[٢].

وكما أوضحنا من قبل إذ إن اغلب الأصوات تكون على مدرج اللسان والحلق؛ فالانتقال من صوت إلى آخر في مدارج اللسان أو الحلق أو اللهاة يكون أيسر

---

(١) السعران (محمود السعران) ,علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٥٩.
(٢) أنيس(إبراهيم أنيس) ,الأصوات اللغوية: ٧٨.

بكثير مما يكون الانتقال من هذه المواقع إلى الحنجرة أو بالعكس[١].

ورافقت مشقة النطق بالهمزة، مشقة الحركة التي صاحبتها (الضمة) والضمة هي أصعب الحركات واقلها شيوعا[٢].

ثم تنقلنا اللفظة إلى صوت المد (الواو) وما تتركه صفة المد من إشباع الصوت وتطويله من دلالة تؤكد وتشدد من الصعوبة. ولاسيما أن مخرج الواو ليس بأقل صعوبة في النطق من الكاف إذ يقترب أقصى اللسان من اقصى الحنك الأعلى فيضيق المخرج[٣].

ثم (الدال) التي تشترك مع صوت الكاف في الانفجار الحاصل في مخرجها إذ يلتقي في مخرجها طرف اللسان

---

(١) غانم قدوري الحمد, المدخل إلى علم أصوات العربية: ١٩١- ١٩٢.

(٢) ظ: هنداوي (عبد الحميد هنداوي) , الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ٩٣.

(٣) السعران (محمود السعران) ,علم اللغة: ١٨٠.

بإصول الثنايا العليا التقاءا محكمـا[١] يتبعـه انفصـال فانفجار، ولصوت الدال دلالة على التصلب والتغـيير المتوزع[٢] وهو صوت المقاومة والشدة[٣].

وصوتا الواو والدال من الأصوات المجهورة [٤] وصـفة الجهر هذه من الصفات القوية التي أضفت قوتها إلى قوة هذه اللفظة وبعد أصوات (الكـاف والهمـزة والـواو والدال) أتت الحركة الاعرابية (تنوين النصب) فتطيـل اللفظة وتثقلها.

واستعمل العرب هذه الدلالة في الجاهلية كـثيراً منـهم الأسود بن يعفر النهشلي[٥].

---

(١) أنيس (ابراهيم أنيس), الاصوات اللغوية: ٤٦.
(٢) ظ: العلايلي(عبد الله العلايلي) , مقدمة لدرس لغة العرب: ١١٣-١١٤.
(٣) عيسى (احمد بيك عيسى),التهذيب في أصول التعريب: ٩.
(٤) أنيس (إبراهيم أنيس) , الأصوات اللغوية: ٧٨.
(٥) هو أبو نهشل الاسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي. شاعر جاهلي(؟-٢٣ ق.هـ) من سادات تميم من اهل العراق كان فصيحا جوادا، نادم النعمان بن المنذر ولما اسن كف بصره ويقال له: أعشى بني نهشل.

فلولا الشامتون أخذتُ حقي وإن كانت بمطلبهِ كؤودُ

و(كؤودا) تتألف من التحام المقاطع الآتية:

/ أ / د ن

س ح/ س ح ح/ س ح س

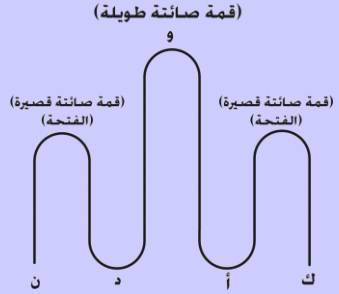

نلحظ إن طول اللفظة منحها شيئا من التكلف. فهي تكونت من ثلاثة مقاطع الأول قصير (س ح) والثاني متوسط مفتوح (س ح ح) والثالث متوسط مغلق (س ح س) بثلاث قمم، وقع النبر فيها على المقطع الثاني (س ح ح) فاضاف لقوة الهمزة قوة وهذا المقطع (المتوسط

المفتوح) بطبيعته يسمح بترجيع النغم[1] وكأنه دلل على ترجيع عملية الصعود للمرتقى سدى.

وهذا الإيقاع الموسيقي للفظة بوصفها صورة ذهنية سمعية تعد من المنبهات في إثارة الانفعال المناسب في نفس المتلقي؛ وفضلا عن دلالتها المعنوية هي ذات دلالة إيحائية تشع في النفس مناخا تخيليا خاصا يتماشى مع حركة النفس وذبذبتها الشعورية وينسجم مع إيقاعات موسيقاها الداخلية وأنغامها [2].

وتأتي (كؤودا) متسقة كمال الاتساق مع السياق الذي جاءت فيه،إذ جاءت في سياق التنبيه والتحذيرلولده (عليه السلام)في أمور الدنيا والأخرة؛ فتلونت الالفاظ في هذه الوصية وأخذت أنماطا متنوعة في البناء، فكان الذي لا بد منه أن يأتي بلفظة شديدة قوية قادرة على حمل المعنى المتوقع منها، بحيث تبرز هذا البروز وتظهر

---

(١) النويهي(محمد النويهي), الشعر الجاهلي(منهج في دراسته وتقويمه): ٥١/١ .

(٢) أنيس(إبراهيم أنيس) ,دلالة الألفاظ: ٧٥.

هذا الظهور المتميز بين كل ألفـــاظ التوجيـــه والتنبيـــه الأخرى في الوصية.

وهذا الفرق من الأدوات الدلالية التي اعتمدها (عليـــه السلام) بشكل ملحوظ؛ أي استعمال الصيغة الرمزيـــة لمعنى ما، فضلا عن المعنى المعجمي أو الهامشـــي (ظـــل المعنى)للفظة، فجاءت وقد شحنت بطاقة إيحائية تعبيرية، فأثارت فجوة ذهنية في الأنساق اللغوية[1].

ج- (قرَعَ، هَلَسَ):

ورد في كتاب له (عليه السلام)إلى معاويـــة ردا علـــى كتابه، كثير من المفردات القوية ، فقد كـــان الكتـــاب كتاب تهديد ووعيد يظهر ذلك واضحا على استعمالاته الصوتية الرنانة المخيفة في أثناء الكتاب تصـــل إلى ذروة التعبير الصوتي ودقته. إلى أن توقفنا عبارة فيـــه تأســـر الأسماع بقوتها وقدرتها الصوتية فما لنا إلا أن نبحث في سرها الصوتي النابع من ألفاظها:((وأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْ لا

(١) فرحان (علي فرحان), لغة الإمام علي(عليه السلام) (دراسة وصفية): ٢٠.

بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ؛ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ ؛وتَهْلِسُ اللَّحْمَ))[1].

فلننتبه إلى دقة التعبير في(تقرع العظم وتهلس اللحم) نجد أصوات كل من اللفظتين(تقرع) و(تهلس) توحي بإيحاءات تصور لنا صورة العقاب الذي يتوعد به (عليه السلام)، ولذلك سندرس كل لفظة منهما وإيحاءات أصواتها ودلالتها:

فـ(تقرع) في معجمات اللغة من(القاف والراء والعين) ومعظم الباب ضرب الشيء يقال: قرعت الشيء اقرعه: ضربته ؛ومقارعة الأبطال: ضرب بعضهم بعضا، والقارعة الشديدة من شدائد الدهر، سميت بذلك لأنها تقرع الناس: أي تضربهم بشدتها، والقارعة: القيامة: لأنها تضرب وتصيب الناس بإقراعها، قال تعالى:﴿ الْقَارِعَةُ (١)مَا الْقَارِعَةُ ﴾(القارعة:١ـ٢).

(١) نهج البلاغة،تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٤٦٣/٧٣.

وهذه الدلالة(ضرب الشيء)إنما جسدتها أصوات اللفظة فالقاف: ذلك الصوت الشديد المهموس[١]، الانفجاري الذي لا يشبه شدته في أصوات الحلق إلا الهمـــزة[٢]دالا في أصوله على معنى ألإصـــطدام والانفصـــال، يقتـــرن بحـــدوث صـــوت شـــديد تصـــوره القـــاف في انفجارها.ولصوت القاف صعوبة كما ذكرها لنا كمال بشر لتوقف الهواء تماما في مخرجه[٣]، وجعـــل العلايلـــي القاف دالا على المفاجأة التي تحدث صوتا[٤]، وما هـــي إلا مفاجأة أول اصطدام العظم بالمقرعة.

---

(١) أنيس(إبراهيم أنيس) , الأصوات اللغوية:٧٥، السعران (محمود السعران) , علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي):١٥٦.

(٢) المبـــارك (محمـــد المبـــارك) , فقـــه اللغـــة وخصائص العربية:١٠٤.

(٣) بشـــر (كمـــال بشـــر) , دراســـات فـــي علـــم اللغة:١٧١.

(٤) العلايلي(عبد الله العلايلي) , مقدمة لدرس لغة العرب:١١٣-١١٤.

ويليه الراء: الصوت المجهور اللثوي المكرر[1] لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق به كإنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا[2].

وفي هذا رمز واضح لتكرار عملية الضرب بالمقرعة.

أمّا العين: فصوت صامت مجهور حلقي احتكاكي[3]، فهو يصدر حفيفا أعلى الحنجرة.

وورد هذا الصوت في النص القرآني ليصور الحدث ويضفي عليه طابع العنف وشدة الفعل كما في(القارعة)[4]، وكأنه يريد أو يحاول ان يصور القرع

---

(١) ظ: ابن جني , الخصائص: ٥١٣/١، والسعران (محمود السعران) , علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي): ١٧١.

(٢) أنيس(إبراهيم أنيس) , الاصوات اللغوية: ٦٠، والسعران (محمود السعران) , علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٧١.

(٣) السعران (محمود السعران) , علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٧٨، ويراجع أنيس (إبراهيم أنيس) , الاصوات اللغوية"٧٧، فهو يراه(لا شديد ولا رخو).

(٤) الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن: ٤٠١.

والدق بالمقرعة لتسود الرهبة والهلع لمن يسمع هذا القرع.

كذلك أشار الخليل إلى جمالية جرس مثل هذه اللفظة بقوله:(العين والقاف فإنهما لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا ، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما)[١].

ودلالة صوت العين تتضح لنا أكثر عند مطالعة الشعر القديم وقراءته إذ نلاحظ كثرة ورود صوت العين رويا لقصائد الرثاء.

وهو أمرٌ يلفتنا إلى ما في جرس العين من حرارة وتعبير عن الوجع والجزع والقرع والهلع فكلها تنتهي بالعين[٢].

وتبدأ هذه اللفظة بمقطع متوسط مقفل.هذا الذي يعمل على تأكيد الجرس الصوتي للحرف الساكن[٣]

---

(١) الفراهيدي , العين:٧/١.
(٢) النويهي (محمد النويهي) , الشعر الجاهلي:٦٣.
(٣) م.ن :٥١.

(القاف).

وتتكون المفردة من ثلاثة مقاطع:

ت ق / ر / ع

س ح س / س ح / س ح

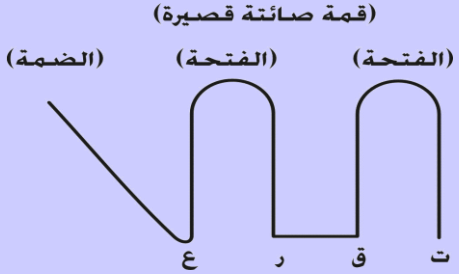

مقاطعها قليلة وقممها ثلاث قصيرة(الحركات) وهـــذا أعطى اللفظة دلالة السرعة فلم يمد بصائت طويـــل ولم يكثر في مقاطع المفردة.

وهكذا فقد اتسمت أصوات هذه اللفظـــة في صـــفاتها ومخارجها وجرسها بما يتوافق مع هذه الشدة التي البسها إياها (عليه السلام) في وعيده، فضلا عن طبيعة مخارجها وتلائمها مع السعة في الشدة نتيجة شـــدة الأصـــوات وقوتها،وذكرها الشعر العربي في مواطن الشدة والسرعة فيقول عروة بن الورد:

فلولا الريحُ أسمعُ من بحجر
صَليلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذُكور (١)

ويقول الطفيل الغنوي:

فَدَتْ حَولَ أطنابِ البيوتِ وسَوَّفَتْ مراداً وإن تُقْرع عصا الحربِ تُرَكبِ (٢).

أمّا لفظة(هلس)، ففي أصواتها من الدلالات ما ينسجم ومعناها، فمادتها اللغوية:(الهاء واللام والسين) تدل على إخفاء شيء من كلام وغيره، ويقال: أهلس في الضحك: أخفاه(٣).

وأيضا الهلس و الهلاس: شبه السلال، ورجل مهلوس وهلسه الداء يهلسه هلسا: خامره(٤).أمّا المعنى الذي وضعت له في هذه الرسالة فهو الإذابة، إذابة اللحم

---

(١) الورد (عروة بن الورد) , الديوان:١٥٩.
(٢) الغنوي(الطفيل الغنوي) , الديوان:٢٨.
(٣) ظ: ابن فارس ,معجم مقاييس اللغة، باب الهاء واللام وما يثلثهما:٥٠/٦.
(٤) ظ:ابن منظور, لسان العرب: باب الهاء(هلس):١١٤/١٥.

وإهاكة[1]..وهذه العملية كما تبدو لا تحتاج لأصوات شديدة قوية كصنعة أصوات القرع ،فاللحم غير العظم والكسر غير الإذابة.

فالهاء: صوت صامت مهموس حنجري، والهاء صوت النفس الخالص الذي لا يلقى مروره إعتراضا في الفم[2].

وفي تباعد الوترين الصوتيين وما تؤديانه من انفراج واسع لمرور الهواء؛ دلالة الهدوء والتروي الذي تحتاجه في الوصول لأطول وقت ممكن تتم فيه عملية الهلس، لأجل الإيلام والتعذيب أكثر، وإنما يدل صوت الهاء على تمكن المعنى تمكنا تظهر أعراضه[3].

---

(١) محمد عبده ,في تحقيقه لنهج البلاغة: ٤٩٦. صبحي الصالح , في تحقيقه لنهج البلاغة: ٧٠٩.

(٢) ظ: السعران (محمود السعران) , علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:١٧٨-١٧٩، النعيمي (حسام النعيمي) , الدراسات اللهجية والصوتيةعند ابن جني:٣٠٢.

(٣) ظ: العلايلي(عبد الله العلايلي) , مقدمة لدرس لغة العرب:١١٣-١١٤.

و(اللام) صوت صامت مجهور سني منحرف جانبي، وفيه يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم وبذلك تنفرج إحدى حافتي اللسان عن الأسنان العليا فيخرج الهواء من الانفراج ويسمى انفراجا منحرفا[١]، وهذا الانحراف في مخرج اللام كأنه يوحي بانحراف حركي يحدث في عملية الإذابة(الهلس)، وهذا الانحراف في مخرج اللام أبطأ من سرعة خروج الهواء بشكله الطبيعي في مخارج حروف أخرى.

أمّا السين: فصوت صامت مهموس لثوي احتكاكي[٢]، وصفته الصفير نتيجة التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدا يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصفير العالي[٣]،

---

(١) السعران (محمود السعران) , علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:١٦٣،إبراهيم أنيس: الاصوات اللغوية":٥٩.

(٢) م.ن :١٧٥، والسين عند إبراهيم أنيس (رخو مهموس) في الاصوات اللغوية:٦٧.

(٣) م.ن :١٧٥.

ويساعد في الصفير اقتراب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جدا.

وهذا الجرس ذا الصفير العالي الذي نجده لحرف السين قد يصلح للتعبير عن أفكار وانفعالات مثل الحزن القوي والحسرة اللاذعة، ومن هنا وروده رويا لكثير من القصائد القديمة في الحزن والتشاؤم[1].

ومن دلالات صوت السين السعة والبسطة من غير تخصيص[2] ويدخل فيه أيضا معنى الليونة والسهولة كما في الألفاظ(سهل، سلم، سلس...)[3].

إما مقاطع الكلمة فهي ذاتها مقاطع كلمة(تقرع):

ت هـ / ل / س

---

(١) النويهي (محمد النويهي) , الشعر الجاهلي:١٠١.

(٢) العلايلي (عبد الله العلايلي), مقدمة لدرس لغة العرب: ١١٣-١١٤.

(٣) المبارك (محمد المبارك) , فقه اللغة وخصائص العربية:١٠٤.

س ح س / س ح / س ح

ونلاحظ من هنا الانسجام الصوتي بين البنية الصوتية وطبيعة الحدث، فعملية الكسر لا تشبه الإذابة، فالكسر هو اصطدام وانفصال سريع يصيب العظم بسرعة وبشدة في الوقت نفسه، مما يتطلب اصواتا شديدة قارعة تقرع الأسماع فيذهل المتلقي وتنفر نفسه، ولاسيما أن هذه الأصوات توظف في رسالة تهديد ووعيد أراد منها الإمام تأكيد هذه المعاني.

أمّا الهلس:(إذابة اللحم)، فلا يحتاج لهذه الصفة التي في أصوات القرع ، بل تتطلب بعض الهدوء والاتساع والانحراف والأولى(القرع) تتطلب الشدة وقوة جرس الألفاظ لإثارة الألم وانفعال الرهبة والخوف، وهذا ما عبّرت عنه بدرجة من الانسجام تفوق التوقع.

فالكلام المصاغ فكريا يهدف لعلاج حالة معينة ومحددة للتأثير في الآخرين والولوج في نفسية الفرد والمجتمع بشكل يحقق غاية معينة، وهو ما رمى إليه الإمام (عليه السلام).

د- رقل ، وجف:

قد نجد للفظة في نص مزية قد لا نجدها لغيرها لو كانت في مكانها، فالفارق بين الكلام العلمي والإسلوب الأدبي ليس فرقا في الاستعمالات اللغوية فحسب بل في دقة تخير المعاني وثم في دقة التعبير عنها وهذا ما أشار إليه الباحثون في النظم القرآني[1].

مثال ذلك ما عبر الإمام به عن معنى الإسراع في لفظتين إحداهما جاءت في سياق التهديد والوعيد في رسالة إلى معاوية والأخرى في سياق الوعظ والإرشاد في وصيته للحسن (عليهما السلام).

ففي سياق التهديد: ((وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ))[2]. والى ولده محذرا ((وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ))[3].

---

(١) ظ: الرافعي(مصطفى صادق الرافعي) , إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٩.

(٢) نهج البلاغة, تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ك٢٨/٣٨٩.

(٣) م.ن: ٣١/٤٠١.

والدلالة اللغوية لـــ(مرقل)في معجمات اللغة نجدها عند رقل:(الراء والقاف واللام) أصلان احـــدهما طـــول في الشيء والآخر ضرب من المشي ويهمنا الأصل الثـــاني: ارقلت الناقة، وهو ضرب من المشي، وهي مرقـــل ولا يكون إلا بسرعة، وهاشم بن عتبة المرقـــال لإرقالـــه في الحروب[1].

وجاء بها (عليه السلام) هنا لتصـــور إســـراع الجـــيش العظيم من المهاجرين والأنصار بقيادته(عليه الســـلام). وكـــان لأصـــوات هـــذه اللفظـــة الأثـــر الكـــبير في إيحائها.فصوت الميم بالرغم من كونه صوت غنة[2]، فإن من خصائصه أيضا الاستئصـــال والكســـر والتوكيـــد والتشديد[3]، فهو من الأصوات الشديدة الجهر وغـــني بالقيم التعبيرية.

---

(١) ظ: ابن فارس ,معجم مقاييس اللغة: باب الراء والقاف وما يثلثهما:٣١٦/٢.
(٢) سيبويه ,الكتاب:٤٣٥/٤.
(٣) ظ: عبد القادر (صالح سليم عبد القادر) ,الدلالة الصوتية في اللغة العربية: ١١٦.

مثال ذلك(الحسم) أي: إزالة الشيء يقال: قطعه فحسمه، وبه سمي السيف حساما[1]، وهناك شواهد قرآنية كثيرة تؤكد ذلك.قال تعالى:﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾(الانبياء:١١) و:﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾(النساء:٤٧)و:﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الاسراء:١٦) و:﴿ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ (النحل:١٨)

ثم انظر إلى البراعة في التوحيد بين خصائص اللفظ الصوتية وظلال معانيه ونبرات عاطفته فصوت الراء بتكريره يكاد يسمعنا صوت حوافر الخيل تضرب الأرض بقوة، ثم القاف بقوته وشدة موقعه الدال على الاصطدام فالقاف صوت انفجاري ؛اضف له ما يتمتع به من قلقلة؛ تلك الصفة التي تضيف إليه صوتا صائتا مركزيا ضعيفاً[2].

---

(١) ظ: الاصفهاني , المفردات في غريب القرآن:١١٨.

(٢) السعران (محمود السعران) ,علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي):١٦٠-١٦١.

ويختم اللفظة صوت(اللام) الصوت المجهور الذي يتوسط بين الشدة والرخاوة يعمل اللسان في مخرجه على منـــع مرور الهواء من وسط الفم فيتسرب بكثرة وسرعة مـــن جانبيه[1].

وهكذا نجد أن أصوات(الراء، والقاف، واللام) تتميـــز بصفات القوة فيلتحم القاف بقوته وشدة موقعه الـــدال على الاصطدام مع تكرير الراء وضربها وما توحيه من الكثرة والتزاحم نتيجة ذلك ، مع حفيف اللام في آخر اللفظة وتسرب الهواء من الجوانب بكثرة، ليكونوا لنـــا صورة جميلة معبرة عن إقدام الجيش في ســـرعة تقدمـــه وعظمة عدده.ولو نظرنا إلى مقاطع الكلمـــة وحـــدها بالوقف عليها:

(١) أنيس (ابرآهيم أنيس) ,الأصوات اللغوية:٥٩.

م ر/ق ل

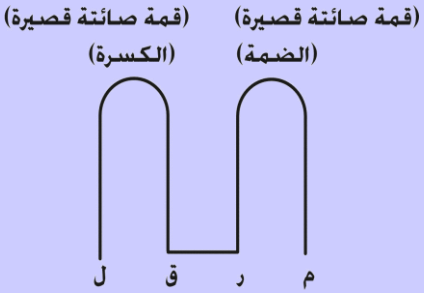

س ح س/ س ح س

فهي في الوقف متكونة من مقطعين متوسطين مقفلين(س ح س) وهذا المقطع وحده يسمح بتأكيد الجرس الصوتي للحرف الساكن[1]، وتكرر مرتين ليؤكد جرس الراء واللام.وتكررت هذه اللفظة في أشعار العرب لتدلل على هذه السرعة الموصوفة يقول طرفة بن العبد:

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي[2]

(١) النويهي (محمد النويهي) ,الشعر الجاهلي:٥١.
(٢) طرفة بن العبد, الديوان: ٤٠

فكل لفظة من ألفاظه (عليه السلام) لها روح وحياة وكيان خاص ورداء ترتديه لا يصلح لأخرى. ولفظة(مرقل) تلائم الغرض والسياق الذي حلت فيه مع الجيش العظيم بلفظة(جحفل) الذي صوّر حاله مرقلا.

والآن لنقارن بين أصوات هذه اللفظة ولفظة أخرى ترادفها في المعنى لنعرف من إيحاء أصواتها دلالة لا يمكن الوصول إليها في المعجم اللغوي فجاءت في وصيته لولده (عليهما السلام):((وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ)) فالوجف: سرعة السير، وجف البعير والفرس يجف وجفا ووجيفا: أسرع[1] وقد تأتي بمعنى اضطرب[2] كما في قوله تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (النازعات/٤٦) أي مضطربة. وفي كلام الإمام جاءت بمعنى الإسراع، كلفظة (مرقل).

---

(١) ظ: ابن منظور , لسان العرب: مادة:وجف:١٥/٢٢٢.

(٢) ظ: الفيرو ابادي , القاموس المحيط: فصل الواو (وجف):٣/٢٤٥.

قال تعالى:﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَـــابٍ ﴾ (الحشر:٢٤) (فتُوجف) تتكون من صوت الواو بما فيه من الخفاء واللين والرقة[١].وإنها هنا حرف مـــد يشـــعر بامتداد السير في تراخٍ، يلاحظ ذلك واضحا عند نطـــق الصوت، ويمكننا ملاحظة تكور الشفتين في أثناء النطـــق به. وهذه الحركة تشعرنا إيحاء هذا الصوت ودلالته على الخفاء والرقة.

ولصوت الجيم هنا روحيـــة مميـــزة لوصـــف الحـــدث (السرعة)، بالهدوء من خلال مخرجها؛ فعلى الرغم مـــن كونها انفجارية وبذلك تدل على القوة وقولهم بأنها دالة على العظم مطلقا[٢]،فـــإنّ مـــا لاحظنـــاه في انفصـــال العضوين (وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى) الـــذي يكون أبطأ قليلا منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى ولهذا يمكن أن نسمى (الجيم) صوتا قليل الشدة[٣] ممـــا

(١) ظ: ابن جني , الخصائص: ٣٦/١.
(٢) ظ: العلايلي (عبد الله العلايلي), مقدمة لدرس لغة العرب: ١١٣-١١٤.
(٣) انيس (ابراهيم انيس) , الأصوات اللغوية:٦٩.

جعلنا نربط هذا الإبطاء في خروج الهواء بإبطاء السرعة، وهو إنما يناظر الوصف المقصود لدينا في السرعة التي من المؤكد هي ليست سرعة جيش مقبل.

أما صوت (الفاء) فصوت صامت مهموس يتكون بان تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا[1]؛ تحقق لنا هذه الكيفية التي يخرج بها النفس من بين الثنايا وما تحتاج اليه من جهد في إخراجه من ناحية والضغط على المخرج من ناحية أخرى، إشارات بفعل الحدث أي السرعة.

وتتكون لفظة (توجف) من ثلاثة مقاطع الأول متوسط مفتوح والآخرين قصيرين .

---

(١) م.ن:٤٤ ,ويرى السعران انه صوت إحتكاكي , في علم اللغة:١٧٣.

ت / ج / ف

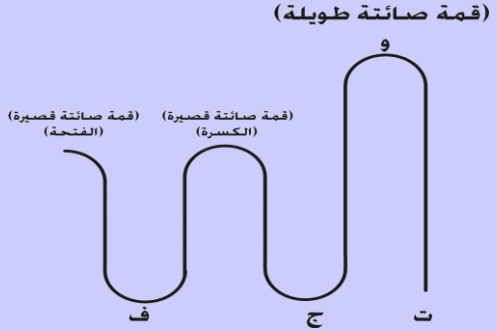

س ح ح / س ح / س ح

فالمقطع الأول (س ح ح) متوسط مفتوح، ينتهي بحركة ممدودة فيها إشباع موسيقي. يعزز رأينا في تقليل السرعة مقارنة بمرقل. وأخيرا فان اجتماع دلالات الأصوات (الواو، الجيم، الفاء) بمعنى إن إسراع مطايا الطمع إنما جاء عن استدراج وسيطرة الطمع أولا على النفس البشرية التي لا تكون مباشرة بل فيها من اللين والخفاء الذي اشعرتنا به أصواتها.

فكذلك إن في سير (المطية) من المط ما لا يشبه ارقال الجيش العظيم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على

أن لفظة (توجف) انسب وأدل في الموضع الذي وضعت له من صاحبتها الأخرى التي هي أيضا وضعت في موضع لاتناسبه غيرها مثلها.ومستوى الكلام بهذه الطريقة يدل على عمق التحليل السابق والتفهم الأكيد لخلجات النفس وفي الأقل التعامل المتفهم والمتبادل بين ما يقال وما يؤثر وهو ما يدلل على شرط التأثير النفسي بالإبداع البلاغي للكلمة المؤثرة[1].

هـ شَقّقَ

وجاء مصدر شقق (شقاق) على فعال في كتاب أرسله إلى بعض أمراء جيشه؛ جاء فيه:

((وإِنْ تَوَافَتِ الأمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ والْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ))[2].

---

(١) المحنك(هاشم حسين المحنك) , علم النفس في نهج البلاغة:١٥.

(٢) نهج البلاغة,تحقيق الصالح(صبحي الصالح):٣٦٦/٤.

وحين ننظر إلى هذه اللفظة في هذا النص الذي يصور توجيها من توجيهات الإمام لأمراء جيشه حين تلتبس الأمور عليهم، إذ يصور فيه وقوع نوع من الفتنة من الشقاق والعصيان بين أفراد هذا الجيش؛ فبين من خلاله الطريقة التي يمكن أن يتعامل بها هذا القائد مع هذا الموقف، فكلمة (شقاق) تعني: غلبة العداوة والخلاف، شاقه مشاقة وشقاقا: خالفه وقال الزجاج في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(سورةالحج: ٥٣) والشقاق: العداوة بين فريقين والخلاف بين اثنين، سمي ذلك شقاقا لان كل فريق من فرقتي العداوة قصد شقا أي ناحية غيرشق صاحبه[١].

وإذا أردنا أن نحلل هذه المفردة ونبين طبيعة الأصوات التي تأتلف منها نجد إنها تعبر تعبيرا دقيقا عن ذلك المعنى.

فالشين صوت رخو مهموس لثوي محنك[٢] ذو صفير قليل له صفة التفشي إذ تتسع منطقة الهواء في الفم عند

---

(١) ظ: ابن منظور ,لسان العرب: باب الشين (شقق):١٦٦/٧.

(٢) أنيس(ابراهيم أنيس) , الأصوات اللغوية:٦٨.

النطق به ولا يقتصر هواء النفس في تسربه إلى الخـــارج على مخرج الشين فحسب بل يتوزع في جنبات الفـــم، لذلك سمعنا الأعشى في شطره يقول[١]:

شاوٍ مشلٍّ شلولٍ شلشل شولِ

يستعمله للتعبير عن اختلاط مخارج الحروف في نطـــق السكران وعن سيحان حركات جسمه بعضها في بعض إذ يفقد السيطرة عليها[٢]، وعدم السيطرة تـــؤدي إلى البعثرة والتشتت كما حصل له.

ويدل صوت الشين على التفشي بغير نظام[٣]، وهو في أول الكلمةيدل على التفريق نحو(شتت شملهم) أو شطر الشيء أي جعله قسمين أو شـــظي العـــود أي جعلـــه شظايا[٤].

---

(١) الأعشى , الـــديـــوان:١٤٤.
(٢) النويهي(محمد النويهي) , الشعر الجاهلي:١٠٠
(٣) العلايلي(عبد الله العلايلـي) , مقدمـة لـدرس لغـة العرب:١١٣-١١٤.
(٤) ظ: ابن جني ,الخصائص:١/٥١٢-٥١٣، وأمين الله ناصرالدين , دقائق العربية:١٧.

وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة لمعنى هذا الصوت:قال تعالى:﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾(الفرقان:٤٧).

وفي حديث لرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول:((افشوا السلام))[١]، أي انشروه وذيعوه. وصفة التفشي لصوت الشين وانتشار الهواء في مخرجه طغى على هذه اللفظة(الشقاق) ليرينا صور الخوف والتمزق والفرقة، وصفة الهمس لهذا الصوت أضفت إليه ضعفا، فالمهموس: هو صوت أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه[٢].

ويلي صوت الشين ، صوت(القاف) بقلقلته ووقعه بامتداد حرف المد الذي خلفه فعزز قرعه ثم تكرار قرعة القاف بعد المد مباشرة جعل اللفظة ذات قوة إسماعية عالية تؤثر في نفوس المتلقين.وكذلك الانتقال من صفة الهمس في الشين إلى الشدة في صوت القاف ثم إلى اللين في حرف المد ثم عودة الشدة مع عودة القاف.

---

(١) ظ: ابن الاثير, النهاية في غريب الحديث :٦٥.
(٢) سيبويه , الكتاب:٤/٤٣٤.

هذا الانتقال في الصفات والمخـــارج جمـــع في اللفظـــة نصاعتها ودلالة التفرقة في آن واحد.

ومقاطع هذه المفردة ثلاثة:

ش / ق / ق

س ح / س ح ح / س ح

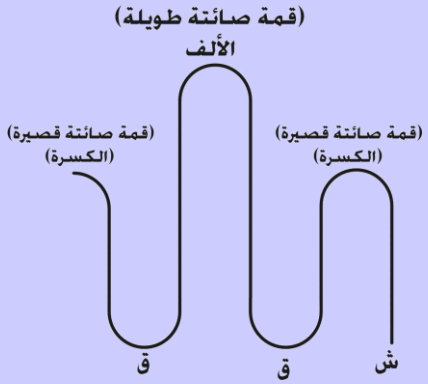

وظهر واضحا توظيف الإمام (عليه الســـلام) لصـــوت الشين في رسائله فانظر إلى دقة تصرفه في

اختيار الصوت واللفظة، فقد جـــاء في عهـــده لمالـــك الاشتر:

((فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ))[1].

نلاحظ في هذا النص القدرة على استبدال المفردات في المعنى المطلوب إيصاله بحسب دلالة هذه المفردات فنجده(عليه السلام) عبّر مرة بـ(فرّق) وأخرى بـ (شتت) عن معنى الاختلاف وذلك إنما لدلالة واضحة اكسبها صوت الشين للفظة(تشتت) من مضاعفة هذا الاختلاف والتفرق وشطره.

فنحن نعرف إن أهواء الناس إذا تفرقت فسيكون لكل هواه لكن صاحب هذا الهوى الواحد هل سيكون له رأي واحد كهواه؟ هذا السؤال فلنسأل أنفسنا به ؛ و سيكون الجواب بالطبع(كلا)؛ فصاحب الهوى الواحد له آراء متفرقة متنوعة تصدر عن الهوى نفسه ومن هنا نجد

(١) نهج البلاغة,تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٤٤٢/٥٣.

إن تعبير الإمام واختياره للفظتي (فرّق) و(شتت) إنما جاء عن قصد وتمعن ومعرفة بمجرى الأمور.

وجاء في وصيته لجيش بعثه إلى العدو قال:((وإياكم والتفرّق))[1].

إذ أَنه لم ينههم عن(الشقاق أو التشتت)هنا أو أي لفظة أخرى تعني الاختلاف،بل اختار لفظة(التفرق) دون مرادفاتها، فقال: إياكم والتفرق، ولم يقل: إياكم والشقاق، مثلا،ذلك لأنه لا يريد لهم الوصول أبدا إلى مرحلة الشقاق المؤسفة من خلال نهيهم وتحذيرهم من الوقوع في المرحلة الأدنى منها وهي(التفرق).. والله أعلم.

و- تعتع:

جاء من الفعل تعتع في الرسائل اسم الفاعل (متتعتع) التي وردت في عهده المشهور إلى أحد قواده ؛ هو مالك

---

(١) نهج البلاغة, تحقيق الصالح(صبحي الصالح) :٣٧١/١١.

الاشتر: (حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ)[1] يوصيه بذوي الحاجات من الأيتام والشيوخ وغيرهم ليمنحهم الأمان من جنده وأعوانه لدرجة يمكنهم التحدث فيها دون تعتعة.

وإذا أردنا أن نستظهر دلالة هذه المفردة من المعجمات العربية نجد أن (تعتع):الفأفأة والتعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أو عي؛ وقد تعتع في كلامه وتعتعه العي[2].

ويبدو من بناء هذه المفردة أننا نستطيع أن نتلمس دلالتها التي تقدم ذكرها من تردد الأصوات التي تؤلف بنيتها وتكرار بعضها فالتاء تكررت ثلاث مرات والعين تكررت مرتين.

---

(١) م.ن٥٣/ ٤٣٩.

(٢) ابن منظور, لسان العرب: باب التاء (تعع):٣٦/٢.

ونلاحظ إن الأصوات التي ألفت هذه المفردة ثلاث هي: (الميم والعين والتاء) لكنها إستطالت من خلال تكـــرار بعض الأصوات في بنائها.

وإذا أردنا أن نتلمس القيم التعبيرية لأصـــوات هـــذه المفردة نجد صوت الميم متصدر اللفظة قد اكسبها قدرة في تمثيل الحدث المقصود (التردد في الكـــلام) وذلـــك يحصل بملاحظة الشفتين في مخرج الصـــوت إذ تنطبـــق انطباقا تاما وهذه هي الحركة نفســـها الـــتي يظهرهـــا الشخص المتردد في الكلام فهو يطبق شفتيه كثيرا مقررا الصمت والتراجع عن كلامه ثم يعود للكلام فيحـــدث التلكؤ مرة أخرى وهكذا...

أما العين، فهي صوت حلقي مجهور[١]، وهي من حروف الطلق عدها الخليل من أطلـــق الحـــروف واضـــخمها جرسا[٢].

---

(١) أنيس (إبراهيم أنيس) , الأصوات اللغوية: ٧٧.
(٢) ظ: مزعل(كريم مزعل) , الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: ٣٢.

وجاءت في التعبير القرآني لوصف مواقف الفزع والهول وتصويرها والإشعار بذلك قال تعالى:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ (الطور:١٣).

وتختلف العين عن التاء في المخرج فالعين بَعُـدَ مخرجـه (وسط الحلق) والتاء قُرَب (طرف اللسان واصول الثنايا العليا).

والعين صوت مجهور أما التاء فمهموس، وهذا الاختلاف بين صوتي التاء والعين في هذا الذي ذكرنـاه وأيضـا تعاقب الصوتين في المفردة فهي تبدأ بالتاء فتتركـه إلى العين فتعود إلى التاء فإلى العين – كـل ذلـك كأنـه اكسب اللفظة معنى التغيير وعدم الاستقرار على حال. وهذا هو حال المتردد في الكلام..قال الشاعر:

ومـن الكبـائر مَقْـولُ مُتَتَعتَـع جَمّ التنحنح مُتعَب مَبهُورُ[1]

وهذه الألفاظ التي تكرر فيها الصـوتان[*] إنمـا هـي الصوت الحاكي أو الصوت الموهوم الذي ذكره محمـد

(١) بشر بن المعتمر, الـديـوان:٢٥.

الهادي ووصفه بالصوت المصور فالصوت الموهوم هو ما يكون رباعيا لا صلة له بثلاثي كالزعزعة والقلقلة فهي جميعا أصوات مصورة ؛ إذ إنه يحاكي صوتا موهومـــا في اللغة[1]، إذن فان هذه الأصوات الرباعية التي استعملت في النهج ودلت على صوت لم يرد بهـــا الإمـــام إيجـــاد المناسبة التي تحاكي ذلك الصوت كما يفهم من القـــول السابق بل أريد بها تجسيد هذا الصوت وتجسيمه، لأنـــه (عليه السلام) أراد حركة هـــؤلاء المعنـــيين بـــالكلام واضطرابهم من خلال وصف حالهم للمتلقي لا تصـــوير صوتهم؛ هذا من جانب؛ ومن جانـــب آخـــر إن هـــذا الصوت لم يرد لذاته بل أريد الفعل منه واريدت دلالته على الحدث وتحقق بزمن مـــا، وإن الفعـــل دال علـــى الاضطراب؛ وعدم الاستقرار في حالة ما[2].

(*) وهناك الفاظ أخرى شبيهه بـ(متعتع) في رسائل الإمام منها (مضمضة) ٣٧١/١١.و(همهم) ٤٣٣/٥٣, و(نهنه) ٤٥١/٦٢.

(١) ظ: مبارك (محمد رضا مبارك), اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: ١٩٩.

(٢) فرحان (علي فرحان) , لغة الإمام علي (عليه السلام): ١٤٠.

وتتكون هذه المفردة من خمسة مقاطع بخمس قمم وسبع قواعد.

م / ت / ت ع / ت / ع ن

س ح / س ح / س ح س / س ح / س ح س

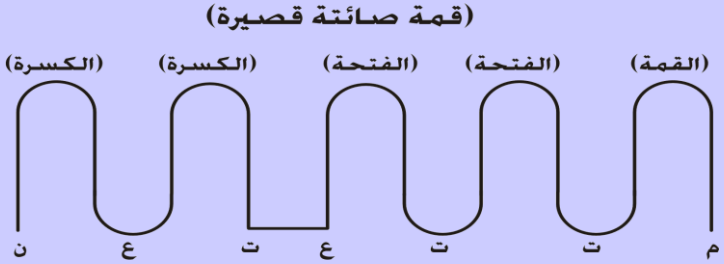

يتضح لنا من تقطيع هذه المفردة:

١- إن ترتيب المقاطع جاء بالتعاقب على الشكل الآتي:إذ تكرر المقطع الـ (قصير مفتوح س، ح) +(متوسط مقفل س ح س) + (قصير مفتوح س ح) + (متوسط مقفل س ح س) وهذا شبيه بتعاقب صوتي (التاء والعين) في اللفظة وكما ذكرنا قبل قليل في ذلك دلالة على التغيير وعدم الاستقرار نتيجة اضطراب أوحى به الصوت في المفردة ومقاطعها.

٢- تتكون المفردة من سبع قواعد وخمس قمم صائتة قصيرة (الحركات) وهذا يعني تكرار صعود الصوت وهبوطه بين القمة والقاعدة، مرارا وتكرارا، وإن يدلنا ذلك على شيء فهو زيادة تأكيد معنى التردد والاضطراب.

وهكذا اتضح لنا كيف نجح الإمام في تصوير الحدث باللفظة الأكثر دقة وانسجاما مع المعنى المراد.

وتجلى لنا البعد الصوتي الذي يشكل مناخا له القدرة على استفزاز الذائقة الجمالية وحثها على التوقف بإزاء هذه المظاهر الصوتية.

ز- (ضرّس):

إذا كانت النصوص المبدعة والجيدة هي التي تكشف الستار عما كمن في الألفاظ من دلالات وإيحاءات وظلال معان بجرسها الموسيقي الناتج من ائتلاف أصواتها؛ فإن نهج البلاغة هو من أبرز النصوص التي

أتقن فيها استعمال اللفظة وما تحمله في طياتها من دلالات.

ولدينا هنا لفظة جديدة تكشف لنا عن دقة ذلك في كتاب أرسله إلى أهل الأمصار قصّ لهم فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين:((فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ ورَكَدَتْ ووَقَدَتْ نِيرَانُهَا وحَمِشَتْ فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وإِيَّاهُمْ ووَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وفِيهِمْ أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا))[1].

في ضوء النص المتقدم تبرز من بين ألفاظه لفظة(ضرستنا) بجرسها المميز من سائر الألفاظ في النص، وقد أكسبتها أصواتها ما يوحي بصلابتها وقوتها والضرس: السن وهو مذكر مادام له هذا الاسم لأن الأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب، والحروب تضرسه ضرسا، عضته وحرب ضروس: أكول[2].

---

(١) نهج البلاغة,تحقيق الصالح(صبحي الصالح):٤٤٨/٥٨.

(٢) ظ: ابن منظور, لسان العرب، باب الضاد(ضرس):٨/٥٠,٥١.

وهذا المعنى اللغوي تتضح معالمه من أصوات هذه المفردة فأول أصواتها(الضاد) وهو صوت مجهور مطبق[١] ومن الأصوات المفخمة تفخيما كليا وما يصاحب هذه العملية(تفخيم الصوت) من حدوث شيء من التوتر في أعضاء النطق ولاسيما في أوردة الرقبة ويتصل بذلك أو ينتج عنه تعديل في تجويف الفم والنطق بشدة أو قوة نسبية[٢]، ومن هنا كان لتفخيم الضاد أثر في التعبير عن ضراوة الحرب وفخامتها ويعزز هذا ما قاله صالح سليم في دلالة هذا الصوت على الضجيج والضياع حين وقوعه أول الكلمة[٣]:(ضاع، ضجر، ضجّ، ضرب، ضلّ، الضوضاء، ضغط، وغير ذلك) ، أمّا العلايلي فيشعر بأنها دالة على الغلبة تحت الثقل[٤].

---

(١) السعران (محمود السعران) , علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٥٥.

(٢) بشر (كمال بشر) , دراسات في علم اللغة الغربية:٢٠٧.

(٣) عبد القادر (صالح سليم عبد القادر) , الدلالة الصوتية في اللغة الغربية: ١١٥.

(٤) العلايلي(عبد الله العلايلي) , مقدمة لدرس لغة العرب:١١٣-١١٤.

ويليه صوت الراء الذي يتميز بصفة التكرير وكأنما يحكي طعنات الرماح المتتابعة المتزايدة في الإيلام.

ووصف صوت الراء بأنه صوت الشيء المجرور المتحرك بشدة على العموم[١] وهذا الوصف يلائم الغرض من اللفظة، وهذا التشديد على الراء زاد من جرجرتها. فقد استدل على أن الصوت المشدد في اللغة العربية صوتان لغويان متماثلان لا صوتا واحدا[٢] وقيل إن قوة اللفظ ينبغي أن يقابل بها قوة الفعل؛ وتكرير عين الفعل دليل على تكرير الفعل [٣].

واثر التشديد جاء على أساس أن الاختلاف في الكمية أي في مقدار قوة الحرف شدة وضعفا؛ يدل كذلك على اختلاف كمي في المعنى فوزن (ضرس) (فعَل) يدل على

---

(١) عيسى (احمد بيك عيسى) , التهذيب في أصول التعريب:٩.

(٢) ظ: محمد عبده , أبحاث في علم أصوات العربية: ٣٠.

(٣) ابن جني , الخصائص: ٥٠٧/١.

الشدة والمبالغة[١] بمعنى أنهم زادوا قوة اللفظ بالتضعيف ليزداد المعنى قوة.

ونجح الإمام في استعمال هذه الخاصية والدلالة المعنوية لها في التصريح عما دمرته تلك الحرب.

أمّا السين: فهو صوت رخو مهموس[٢] ذو الصفير العالي الذي يشعر بعملية السحق وما يصدر عنها من أصوات هي أشبه لصوت السين الذي تزامن مع صوت الراء قبله في اللفظة ذاتها.

ونلحظ أهمية حركة الفكين في مخرج هذا الصوت في الإيحاء بالدلالة المرادة منها،إذ تقترب ألأسنان ألعليا من ألأسنان السفلى [٣].

---

(١) المبارك (محمد المبارك) ,فقه للغة وخصائص العربية:١٧٧- ١٧٨.

(٢) السعران (محمود السعران) ,علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ٦٧.

(٣) م.ن: ٦٦- ٦٧.

وحركة الأسنان هذه في نطق السين مشابهة لاصـــطكاك الأسنان؛ فرافق نطق اللفظة تمثيل كيفيتها عمليا، مما زاد في ولوج المعنى إلى القلب سريعا.

أمّا حرف التاء وما يملكـــه مـــن خاصـــيتي الانفجـــار والهمس[١] دلل على الاضطراب في الطبيعة[٢]،وجاء بعد ذلك الضمير (نا) المتكون من صـــوت النـــون الرنـــان صاحب النغمة الأكثر تصويرا للرنين ولهذا وضـــعت في الفعل (رنَّ)[٣].

ليمتزج صوت الرنين الممتد مع حرف المد مع صـــوت الصفير السني مع تضخيم الضاد وجرجرة الراء مكونين ضجة عالية لهذه اللفظة أشبه بضجة هذه الحرب.

التي يصفها(عليه السلام) بمثل هذه الألفاظ قاذفا الرعب في أسماع متلقيها.

---

(١) أنيس,(إبراهيم أنيس), الأصوات اللغوية: ٥٦.
(٢) العلايلي(عبد الله العلايلي) , مقدمة لدرس لغة العرب: ١١٣-١١٤ .
(٣) النـويهي (محمـد النـويهي) , الشـعر الجـاهلي: ٩٢.

ولا يفوتنا أن ننبه على طول لفظة ضرستنا، الذي مـــنح اللفظة شيئا من الصعوبة، والإحساس بصعوبة في النطق يقابله إحساس بصعوبة الموقف الحربي الذي وصفه (عليه السلام).

ض ر/ ر / س ت / ن

س ح س / س ح / س ح س / س ح ح

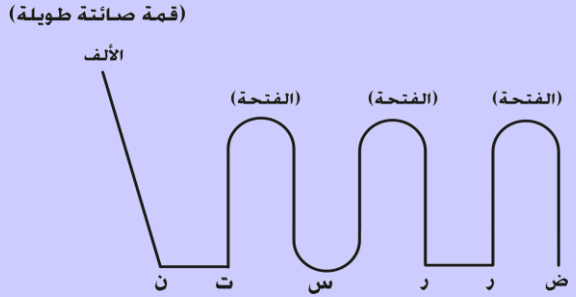

فهي متكونة من أربعة مقاطع بست قواعد وأربع قمـــم آخرها قمة صائتة طويلة.

وهذه اللفظة استعملها الشعراء العرب في الدلالة علـــى ضراوة الحرب قال زهير بن ابي سلمى[1]:

(١) زهير بن أبي سلمى , الـــديوان:٣١.

خُذُوا حَظكمَ مِنْ وُدّنا إن حَربنا

إذا ضَرّستنا الحرب نارُ تَسَعَّرُ

ولذلك الذي عرفناه عن دلالة أصوات هـذه اللفظـة بالذات عن غيرها (عضتنا – داستنا – سحقتنا وغيرها) جعلها تتخذ هذا الموضع في وصف الإمام لقسوة تلـك الحرب (حرب صفين) ولم يضع موضعها أخرى لما عبرت عنه إيحاءاتها بدقة فهو يجعل الحرب كالكاسر المفتـرس ولذلك عطف عليها فجاء بـ(المخالب)[1].

ثانيا ـ دلالةالصوت في التركيب:

بقدر ما تفيد الدلالة الصوتية إيحاء معنى اللفظة مفـردة، نجد الألفاظ تكتسب دلالة يوحيها السياق المنظومة فيه، قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة إلينا ولا مقليَّة إن تَقلَّتِ [2]

---

(١) السـامرائي(إبراهيم السـامرائي), مـع نهـج البلاغة: ٢٤٠.

(٢) كثيرعزة , الديـوان :٨٠.

وقال العلماء: لو قال هذا البيت في وصف الدنيا لكان أشعر الناس[1].

إن لكل من التركيب الخاص بكل لفظة وبنيتها وجرسها، وما تحمله من دلالة إيحائية، دخلا في جمالها وتقبل النفس لها، ومن ثمّ في إنجاح النص ومنحه فعالية أكبر وقدرة أقوى على التأثير والإثارة، وإنّ في حسن تأليفها وصياغتها مع أخواتها في الجملة من الكلام، ما يزيد النص حلاوة ويضاعف من قدرته على التأثير والإثارة ومن حيويته وفعاليته. وقد إلتفت البلاغيون إلى ذلك، وإن اختلفوا في مقدار العناية التي أولوها كلاً من الجانبين[2].

فالألفاظ المفردة تقرع الألفاظ المفردة المجاورة لها سابقا ولاحقا وينجم عن تناسق تقارعها سلالم موسيقية

---

(١) هلال(ماهر هلال) , جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب:٢٩٧-٢٩٨.

(٢) ناجي (مجيد عبد الحميد ناجي) , الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:٧٣.

جميلة[1]، وللجاحظ(ت٢٥٥هـ) إشارة الى أهمية التوافق بين الألفاظ؛ يقول:(فإذا لم يكن موقع الكلمة إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان صعبا على اللسان إنشاده، ذلك الشعر، وأما إذا توافقت الألفاظ في نظمها واتسقت جرت على اللسان كما يجري الدهان)[2].

وإن ارتباط الألفاظ بعضها ببعض واتساقها يخلق إيقاعا عاما وجوا موسيقيا يعد من أهم المنبهات المثيرة للانفعالات الخاصة المناسبة، ويجعل لها إيحاءاً نفسيا خاصا لدى المتلقي[3]، وعدّ أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) الألحان الشعرية أوعية للشحنات الشعورية الوجدانية[4].

فإنه من الأصول المعتمد عليها في تأليف الكلام من النظم والنثر؛ اختيار الألفاظ المفردة ومن ثم نظم كل

---

(١) عاصي (ميشال عاصي) ,الفن والأدب (بحث في الجماليات والأنواع الأدبية):١٢٢.
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين:٦٦.
(٣) ناجي (مجيد عبد الحميد ناجي) , الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:٤١.
(٤) ظ: العسكري , الصناعتين :٢٧٠

كلمة مع ما يشاكلها، قال ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) في ذلك:(لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها)[١].

ولما كان الأمر كذلك؛ أي لما كان الإيقاع المتوازن المنسجم يشد النفس إليه ويشوقها ويجعلها أكثر قبولا للفن القولي المتوفر عليه عن طريق خلق جو نفسي موسيقي تنساب معه النفس وتشعر بالراحة والطرب.

ولما كان قادرا على تنظيم حركتها الشعورية على وفق ذبذبات إيقاعه فمن الطبيعي إذن أن يكون الفن القولي الموقع أسهل حفظا وأثبت في الذهن من غيره[٢].

وتتسم رسائل الإمام (عليه السلام) بجو موسيقي رائع وانسجام جميل بين الكلمات والفقرات نابعا من ذوق الإمام ودقته في اختيار الألفاظ وترتيبها مستعملا

---

(١) أبن الأثير , المثل السائر:١/٢١٠.
(٢) ناجي(مجيد عبد الحميد ناجي) , الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٦٤.

في ذلك أجمل الفنون القولية من تكرار وجناس وسجع وطباق ومقابلات وغير ذلك مما سنوضح في هذا المقام. وكذلك فإن هذه الرسائل تزدحم فيها الأفكار المعبرة عن كثير من المعاني ولكنها غير طاغية على العاطفة.

ونحن حين نطالع رسائله (عليه السلام)، نجد تأثرا واضحا بالأسلوب القرآني حتى في جرسه وإيقاعه الموسيقي. وإن تأثير إسلوب القرآن وجرسه وإيقاعه الموسيقي يحتاج في الواقع إلى استعداد وجداني لإستقباله أو بعبارة أخرى إلى تحسس ذاتي ويقظة وجدانية لادراكه، ومن هنا فإن الذين تأثروا به لابد أنهم كانوا يملكون قدرا وافيا من هذا التحسس[1].

ولإظهار البراعة الصوتية وإبراز فنون التركيب الصوتي ودلالاتها في رسائل الإمام اخترنا أن نقسم الرسائل بحسب الأغراض الأبرز فيها دارسين ومحللين ما جاء فيها من دلالات صوتية سخرها الإمام لخدمة أغراضه:

---

(١) الزيدي(كاصد الزيدي) , الجرس والإيقاع في تعبير القرآن الكريم :٣٣٠.

أ ـ الزهد:

اهتم الإمام (عليه السلام) ببناء الشخصية الإنسانية السليمة والتوجه بمحتواها الايجابي القويم ؛ هو المؤشر الأسمى لاستقامة الإنسان السوي لبناء الشخصية المعتدلة البعيدة عن التعصب والانحراف، لذا تكون مخاطبة الألباب جزءا من متابعة الأفعال والانفعال وظروفه والسيطرة على السلوك وفقا للسبل الإنسانية الواعية[1]، وفي مخاطبته (عليه السلام) للألباب كان يؤكد دائما أهمية تدارك الحال والزهد بالمال وكل ما يغري الإنسان من مفاتن الحياة. والزهد من الأغراض الواضحة في رسائله(عليه السلام)، قال عنه الرضي(ت٤٠٦هـ):(ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها، أنّ كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله، ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في

(١) المحنك (هاشم حسين ناصر المحنك) , علم النفس في نهج البلاغة:٨٢.

أنه من كلام من لاحظ له في غير الزهادة ولا شغل لـــه بغير العبادة)[1].

ونجد في دراساتنا لهذا الغرض ظواهر صوتية وتنغيمية متنوعة منها في هذا النص:((مِنَ الْوَالِدِ الْفَـــانِ الْمُقِـــرِّ لِلزَّمَـــانِ الْمُـــدْبِرِ لِلْعُمُـــرِ الْمُسْتَسْـــلِمِ لِلدهر؛لِـــذام للدنيا؛السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى والظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً إِلَـــى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لا يُدْرِكُ))[2].

وردت معاني الزهد هذه في وصـــيته لولـــده الحســـن (عليهما السلام) يبين له فيها حقيقة الحيـــاة الفانيـــة. نلاحظ في هذا النص سيادة واضحة لحرف الميم الـــذي تكرر أربع عشرة مرة في (من، المقر، الزمـــان، المـــدبر، العمر، المستسلم، الذام، مســـاكن، المـــوتى، المولـــود، المؤمل، ما).

---

(١) محمـــد عبـــده , فـــي مقدمةتحقيقـــه لـــنهج البلاغة:١٧-١٨ .

(٢) نهج البلاغة ,تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٩١/٣١ .

وأسبغ تكراره هذا بين الألفاظ الواردة في النص جوا هادئا حزينا مشعرا بالمرارة؛ ففي صوت الميم غنة ارتفعت على الدلالات الأخرى في صوت الميم معززة الصمت والهدوء الذي جاء ملازما لمعاني الألفاظ ودلالاتها الواردة في النص أمثلة: (الفاني، المستسلم، الموتى، المدبر، الذام، الظاعن) هذه كلها ألفاظ حزينة تدلل على ما يشبه النهاية التي سبقت البداية فأراد منها الإمام أن يشعر ولده الذي لم يبدأ حياته بعد بأنها حياة رخيصة مؤلمة ما أسرع أن تنتهي ويصمت كل ما فيها ويستسلم لنهايته.

ونجد في العبارتين (من الوالد الفان)، (المقر للزمان)، توازنا إيقاعيا والتزام القافية حتى أَن ضرورة عنصر القافية على هذا الشكل حملته الى مخالفة قواعد الصرف والقياس، فقد حذف الياء من (الفاني) الاسم المنقوص ليزاوج بينه وبين (الزمان) قافيتين لعباراته[1].

(١) البصير (كامل حسن البصير) , رسائل الإمام علي (عليه السلام): ٣٧٣- ٣٧٤.

ثم أننا إذا تابعنا نجد نظام التقفية يسير في ثنائية جميلة أي أن (الفان) و (الزمان) قافية النون ثم قافية الراء في: (المدبر للعمر)، (المستسلم للدهر) في (العمر) و(الدهر) ثم قافية الألف في: (الذام للدنيا) (الساكن في مساكن الموتى) في (الدنيا والموتى) وهذا النظام في اختيار القافية منح النص إيقاعية هادئة تهيئ المتلقي لقبول ما ورد فيه من معانٍ.

ومما حسّن هذه الإيقاعية وجود نوع من التوازن التركيبي في الفقرات:

المقر للزمان .

المستسلم للدهر.

الذام للدنيا.

نجد إن كلا منها قد تكوّن من (اسم فاعل + إسم مجرور بحرف الجر(اللام)).

وجاء في كتاب له(عليه السلام) إلى معاوية: ((وَ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ

دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا)) [1].

تكرر في هذا النص المقطع الصوتي (ها)(س ح ح) بما فيه من مد لصوت الهاء المهموس (زينتها.. لذتها.. أجبتها.. اتبعتها.. أطعتها) فخروج النفس في مخرج الهاء يكون يسيرا ويسمح بمروره مكثفا، وكأنه يوهن المتلقي ويشعره بعمق الخسارة وغورها وكأنه يتنهد على ما فاته فيحزن ويتآكل قلبه على غلبة الحياة له وهكذا نجد إن صوت الهاء مكّن النص من السيطرة على أفئدة المتلقين محاولا إنقاذهم من هذا الغرق المفاجئ بتذكيرهم ليأخذوا أهبة الاستعداد لهذه الدنيا والحذر منها.

ومنحت تاء التأنيث الساكنة المهموسة أيضا النص مزيدا من السكون والركون في:(تكشفت ،تبهجت، خدعت، دعتك، قادتك، أمرتك) وكأنه يمنح المتلقي فرصة التفكير والتدبر فيما يطرق أسماعه وفي نص

(١) نهج البلاغة,تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٦٩/١٠ .

آخر:((يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وحَالِهَا وزَوَالِهَا وانْتِقَالِهَا وأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ ومَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا وضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وتَحْذُوَ عَلَيْهَا، إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وجَنَاباً مَرِيعاً ،فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ؛ وفِرَاقَ الصَّدِيقِ؛ وخُشُونَةَ السَّفَرِ، وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ؛ ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ ؛فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً؛ ولا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً؛ ولا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ؛ وأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ)) [1].

كذلك نلاحظ إن النص مبني على الجمل القصار فضلا عما فيها من تجاورات سجعية أضفت على النص ايقاعا جميلا فمن هذه السجعات:

- فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق.
- ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم.

---

(١) نهج البلاغة , تحقيق الصالح (صبحي الصالح): ٣٩٦/٣١ ـ ٣٩٧.

- فليس يجدون لشيء من ذلك ألما ولا يرون نفقة فيه مغرما.
- قرّبهم من منزلهم وأدناهم من محلتهم.

فضلا عما يملكه النص من جناسات هي من الجناس الناقص:

- الطريق الصديق.
- خشونة جشوبة.

ففي هذا النص نجد ظاهرة ازدواج(السجع والجناس) وهذا ما لاحظناه في معظم النصوص، فالجناس يعاضده السجع للوصول إلى إيقاعية تنغيمية أشبه بإيقاعية الشعر، ولهذه المزاوجة بين(السجع والجناس) مكانة مهمة في اتساق الخطاب الذي ينطوي عليه نهج البلاغة وتعد إحدى المهيمنات الإسلوبية على مستوى الصوت.

وأنظر إلى هذه الثنائيات الموسيقية:

منزلا خصيبا.... وجنابا مريعا.

وعثاء الطريق.... وفراق الصديق.

خشونة السفر.... وجشوبة المطعم.

سعة دراهم.... ومنزل قرارهم.

فليس يجدون لشيء من ذلك ألما.... ولا يرون نفقة فيه مغرما.

قرّبهم من منزلهم.... وأدناهم من محلتهم.

فهي تعتمد على أجزاء متقاربة البنية التركيبية وبنظام صوتي ذي نهاية واحدة مع اختلاف في المعنى ومقاربة في الصيغ البنيوية مثل(خصيبا ومريعا)(الطريق والصديق)(دارهم وقرارهم)(قرّبهم وأدناهم)(منزلهم ومحلتهم)، وهذا المناخ التنغيمي المرصع بتكرار السجع يضمن انسيابية الصوت وملائمتها للغرض الذي وضعت لأجله، فهذا البناء النصي يبعث في النفس الثقة والاستقرار النفسي ويهيئ الأذهان لاستقبال الكلام.

فمن شأن هذا التوازن الإيقاعي اذن تنظيم حركة النفس الشعورية على وفق ذبذبات إيقاعه فمن الطبيعي

أن يكون ذلك الفن القولي الموقع أسهل حفظا واثبت في الذهن من غيره وهذا النوع من الموازنة سمي بـ(فن الترصيع)عرّفه المدني (ت١١٢٠هـ):(هو أن يقابل الناثر والناظم كل لفظة من الفقرة الأولى أو صدر البيت، بلفظة مثلها وزنا وتقفية في الفقرة الأخرى وعجز البيت، وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك بأن يكون في احد جانبيه من الجواهر مثل ما في الجانب الأخر)[1].

قال تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ *وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الصافات:١١٧-١١٨)؛وقال تعالى:﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (الانفطار:١٣-١٤).

وورد في النص منه كثير:

ما كنزتُ من دنياكم تبرا.

ولا ادخرت من غنائمها وفرا.

---

(١) المدني : أنوار الربيع:١٦٢/٦.

ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا.

ولا حزت من أرضها شبرا.

فما أجمل هذه الموازنة وأرقها، فهي متقابلة في كل شيء من التركيب(أداة نفي + فعل ماض + تاء الفاعل + حرف جر + الاسم المجرور بحرف الجر وهو مضاف + المضاف إليه + المفعول به).

ومتقابلة في موسيقاها، فكل لفظة من ألفاظ الفقرة الأولى توازن ما يقابلها في الفقرات الأخرى، وكذلك اتفقت هذه الجمل في الحرف الأخير منها، فهي متوازنة تركيبا ومسجعة ومرصعة، ويخدم هذا الإيقاع وتوافق الأصوات والقافية غاية واحدة هي فتح أبواب الكلمة ونوافذها على مصراعيها وإدخال القارئ في أعماقها[1].

(١) شرارة (حياة شرارة)، الأفكار والأسلوب (دراسة الفن الروائي ولغته):٥٣.

وتميل هذه الجمل في إيقاعها لبحر الطويل:

ولا أدخرتُ من غنائمها وفرا = فعو مفـــاعلن فعـــول مفاعيلن

وتشبه الجمل الأخرى هذا الـــوزن بـــبعض زيـــادة أو نقصان، ونحن نعلم أن في بحر الطويل بهاء وقـــوة فهـــو بإيقاعه البطيء الهادئ نسبيا يلائـــم العاطفـــة المعتدلـــة الممتزجة بقدر من التفكير والتملي ، سواء أكانت حزنا هادئا لا صراخ فيه أم كانت سرورا هادئا لا صـــخب فيه[1].

ومن المحسنات اللفظية التي استخدمها علمـــاء البلاغـــة قديما وحديثا وتحت مســـميات مختلفـــة، كـــالالتزام ، والإعنات، والتضييق، والتشديد، ولزوم ما يلزم، وهذا الأخير هو المشهور والأكثر اســـتعمالا عنـــد علمـــاء البلاغة[2].

---

(١) النويهي (محمد النويهي) , الشعر الجاهلي:٦١.
(٢) مطلوب (احمد مطلوب) , معجم المصطلحات البلاغية:٢٩٤/١.

وهو:(أن تجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع)[1]. ويرد منه في الرسالة:

وهذا الشخص المعكوس والجسم المركوس.

ألا وإن الشجرة البرية أصلب عودا.

والرواتع الخضرة أرق جلودا.

والنبتات البدوية أقوى وقودا.

وأبطأ خمودا.

ففي(المعكوس، والمركوس) لزوم ما لا يلزم في التزام الكاف والواو قبل السين.والتزام الواو قبل الدال في(عودا ــ جلودا ــ وقودا ــ خمودا).

وجاء في القرآن الكريم منه كثيرقال تعالى:﴿ فأمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ(٩) وأمَّا السّائلَ فلا تَنْهَرْ ﴾(الضحى:٩-١٠) ؛في التزام الهاء قبل الراء في(تقهر، وتنهر).

---

(١) القزويني , الإيضاح:٣٩٩/٢.

وقال تعالى:﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧)وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾(الانشقاق:١٧-١٨) ، في التزام السين قبل القاف، في(وسق، واتسق).

ب ــ الوعيد والتهديد:

لقد بعث الله الأنبياء (عليهم السلام) ليبشروا المطيعين ولينذروا المفسدين، قال تعالى:﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾(البقرة:٢١٣).

وقد جاءت بعثة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله سلم) في هذا السياق أيضا، قال تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الأحزاب:٤٥).

وهناك آيات كثيرة تدلل على حصر الرسالة في الانذار والتخويف:قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود:١٢).

و:﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الشعراء:١١٥).

و:﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ:٤٦).

وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إنما هو وارث رسول الله وخليفته وحامل رسالته بعده، فليس غريبا أن نجده يستعمل في رسائله أسلوب الوعيد والتهديد منذرا ومحذرا من أجل خدمة الدين والأمة.

وكثيرا ما نلحظ حدة وحرقة في كلامه وكانت هذه الحدة طبيعية في كلماته؛ فإن ما تخلل حياته من الأحداث المرَّة؛ ألهب مشاعره وأَثأر عواطفه [1]. وهنا يأتي دورنا في تتبع أثر الصوت في إضفاء روح الشدة والقوة على الألفاظ، فلنطلع على كتاب له أرسله إلى معاوية.((فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ وكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ والْقَضَاءِ الْوَاقِعِ ومَصَارِعَ بَعْدَ

(١) ظ: الصالح (صبحي الصالح), في تحقيقه لكتاب نهج البلاغة:١٠.

مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ))[1].

فقد تكررت في هذا النص الأصوات القوية التي تدل على الشدة والعقاب نتيجة موقعها المتكرر وجرسها الضارب على أبعاد الألفاظ، فصوت العين تكرر هنا عشر مرات، أمّا صوت الجيم فتكرر سبع مرات، وكذلك الضاد تكررت خمس مرات أمّا صوت القاف فثلاث مرات.

ثم أن الألفاظ التي تعاونت في بناء هذا النص إنما هي ألفاظ قوية جزلة أمثلتها:(تضجّ، عضّتك، ضجيج، جزعا، الواقع، مصارع).

فنتج عن علاقة كل لفظة بما يجاورها نسجا مخبرا عن أمر مفزع وقضاء واقع وكأنها أصوات جعجعة السلاح وجدح السيوف.

---

(١) نهج البلاغة,تحقيق الصالح(صبحي الصالح) : ٣٧١/١٠ .

وإن ترديد الحرف الواحد له قيمة تنغيمية ذات وظيفة عضوية في أداء الفكرة والعاطفة، وهي وسيلة شعرية، وجدنا عبد الله الطيب المجذوب في كتابه(المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) يعطي عددا من الأمثلة الجيدة على هذه الوسيلة الشعرية التصويرية[1].

وأجمع علماء البيان العربي أن الجزل القوي من الكلمات يستعمل في وصف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وفي التنفيس عن الغضب والضيق وما شابه هذا ونجد كثيرا من خطب الأمام ورسائله هي تعبير عن عواطفه وأفكاره التي تقتضي التعبير القوي الفخم الملائم لشدتها وقوتها وحرارتها[2].

وفي كتاب إلى معاوية جاء:((فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ؛ ويَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ؛ وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ؛ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ؛شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ؛ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ؛مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ؛

---

(١) ظ: النويهي(محمد النويهي) , الشعر الجاهلي:٦٨-٦٩ .

(٢) الحوفي (احمد الحوفي) , بلاغة الإمام علي(عليه السلام): ٢٤٨-٢٤٩.

أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ؛ وقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ؛قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا؛ فِي أَخِيكَ وخَالِكَ وجَدِّكَ وأَهْلِكَ))[1].

وكتاب آخر إلى أهل البصرة:((ولَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لأوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلا كَلَعْقَةِ لاعِقٍ؛ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ؛ ولِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ؛ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ؛ ولا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ))[2].

نجد أن النصين لا يخلوان من الموازنات و التناظرات التركيبية المتوازية فمثلا في كتابه إلى معاوية.

شديد زحامهم ساطع قتامهم.

ذرية بدريّة وسيوف هاشمية.

وفي كتابه لأهل البصرة:

لذي الطاعة فيكم فضله

---

(١) نهج البلاغة, تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٨٩/٢٨ .

(٢) م.ن: ٣٩٠/٢٩.

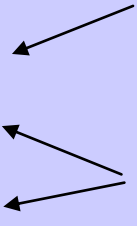

اني عارف ولذي النصيحة حقه

متهما إلى بري

غير متجاوز و لاناكثا الى وفي

هذه التوازيات لم تسد في كل النص بل ظهرت بين الحين والآخر مما جعل من الإيقاع النصي متنوعا بين الهبـــوط والصعود وهذا من الوسائل الـــتي يســـتعملها (عليـــه السلام) كثيرا ليشد أسماع متلقية إليه ويبعدها عن الملل. ونلاحظ أيضا فيها توظيف الإمام لجناس الاشتقاق في:ـــ

متسربلين سرابيل الموت.

لا وقعن بكم وقعـــــــة.

كلعـــــــــــــقة لاعق.

فهي ألفاظ قوية شديدة كررهـــا بالاشـــتقاق لتوكيـــد جرسها وحدته مضيفا إليها من الأدوات المؤكدة منـــها (نون التوكيد الثقيلة) في (لأوقعن) ولام التوكيد فيهـــا

أيضا، وكذلك استعمال المفعول المطلق (وقعة) بما فيه من دلالة الإطلاق وتنوين ذلك الاسم.

وكذلك لنستمع إلى أصوات (القاف) و (العين) في (لأوقعن بكم وقعة) و (كلعقة لاعق، وإدارة هذين الصوتين إنما يشعرنا بما شعر به محمد عبده فقال: (وطورا تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور، وقد تحفزت للوثاب ثم انقضّت للاختلاب، فخلبت القلوب عن هواها، واخذت الخواطر دون رماها، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء) [1].

كذلك نجد الإمام يذكر في تهديده لمعاوية كلمات تذكره بأحداث مؤلمة فيما يخصه؛ فذكره بأخيه وخاله وجده وأهله وتذكره بما حل بهم من السيوف الهاشمية.

إنما لإثارة المتلقي وقذف الرعب في قلبه من حتمية المصير الذي سيلاقيه لو أصر على غيه.

---

(١) عبده (محمد عبده)، في مقدمة تحقيقه لكتاب نهج البلاغة: ٥.

وان ألفاظ الإمام خدم له في كل غـــرض يرمـــي إليـــه متخيرا منها ما وافق أفكاره وانفعالاته يقول: ((وأُقْسِـــمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْ لا بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ وتَهْلِسُ اللَّحْمَ))[1].

فهذا القسم (بالله) قد أضاف مجيئه في سياق التهديـــد إضافة رائعة أرعبت القلوب وإثارت فيها الذعر لمقـــام الباري عز وجل وقدرته.

أما(قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم) [2].

فلا مجال لإنكار ما لهاتين العبارتين من محاكـــاة صـــوتية للحدث الذي تعبران عنه وكأنه فلم يعرض أمام المتلقي. وقد أكد العلماء في الألفاظ لكي تكون قـــادرة علـــى التأثير في السامع أن تكون ملائمة ومنسجمة مع المعـــنى الذاتي المراد نقله (يتمثل في وجوب مطابقته لما يقتضـــيه

---

(١) نهج البلاغة, تحقيق الصالح(صبحي الصالح):: ٤٦٣/٧٣.

(٢) يراجع هذا الفصل: ٧٧.

حال الخطاب) [1] ، فلا نبالغ أو نعجب إن سمعنا من يقول:(كان يخيل لي في كل مقام أن حروبا شبّت وغارات شنّت) [2].

وكتب ألإمام:((لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ؛ ثَقِيلَ الظَّهْرِ؛ ضَئِيلَ الأمْرِ)) [3] وأيضا: ((فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ؛ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً؛ لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً؛ ولَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً))([4]) .

ففيها إيقاع السريع تعاونت في صناعته الأصوات القوية والسجعات المترددة والموازنة التركيبية بين الفقرات وتكرار حروف المد بين الحين والآخر.

قليل الوفر	فلق الحبة	لتجدن بك على

(١) ظ: ناجي(مجيد عبد الحميد ناجي) ,الأسس النفسية الأساليب البلاغة العربية : ٧٦.

(٢) عبده (محمد عبده) , في مقدمته لكتاب نهج البلاغة:: ٢٥.

(٣) نهج البلاغة , تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٧٧/٢٠:.

(٤) م. ن :٤٣/ ٤١٥.

ثقيل الظهر ضئيل الأمر	برأ النسمة	هواناً ولتخفن عندي ميزانا

والإمام لم يتكلف السجع لمجرد خلق جو شعري وإنما هو ترجمة لعواطفه لأنه (السجع) يكثر في مقام الغضب واشتعال العواطف ويقل متى يختفي وتتوارى الصناعة كلها في مقام التوضيح والتعبير عن الأفكار الخالصة فيلجأ إلى الترسل(١).

ونلاحظ تأكيد الإمام لألفاظ الأفعال بنون التوكيد الثقيلة لما تحمله من الصوت الرنان الذي يتعالى مع الشدّة بقوة الضغط على مخرجها كما في:(لاوقعنّ) (لتجدنّ)(لتخفنّ) (لاشدنّ).

وهذه الإيقاعات الموسيقية لها اثر كبير في انسجامها مع الحدث أو المشهد الذي يدور الكلام حوله إذ إنّ هذا

---

(١) الحوفي(احمد الحوفي), بلاغة الإمام علي(عليه السلام) : ٢٨١.

التناغم الصوتي بين الألفاظ المفـــردة والمركبـــة لا تـــتم جماليته الموسيقية إلا بتمام التناسق بين صـــوت اللفـــظ ودلالة محتواه[1].

جـ ـ النقد والتقريع:

لما كان لحياة الإمام علي بن ابي طالـــب (عليـــه السلام) من أحداث ووقائع وأعمال لأعدائه وحساده؛ فقد كان من الطبيعي أن نجد الإمام في كتبه ناقدا موبخـــا مرة ومعاتبا مرة أخرى؛ فهو الذي لا يسكت على حق ؛ ولا يعبأ بقوة الباطل، وأسلوب الإمام في نقده وتقريعه أشبه له في تهديده ووعيده (محذرا) لذلك سنقتصر ذلك مشيرين إلى بعض منها:

ما جاء في كتاب له إلى بعض عماله: ((فَسُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَومَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَاب؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ ؛كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعَاماً

---

(١) عاصي(ميشال عاصي) ,الفن والأدب(بحث في الجماليات والأنواع الأدبية): ١٢٢.

وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماًوتشرب حراما؟))[1].

فخذ ما أوقعته هذه الاستفهامات من صدى صوتي رائع ومخيف في (أما؟)و.. (أو ما؟) ثم (كيف؟).

فان هذه الاستفهامات وهذه التعجبات المقترنة بالمدات المتوالية التي بلغ عددها اثنتين وعشرين مدة في هذا المقطع الصغير، وجعل من أصواته ترتعد وتصرخ بمن يسمعها وتعنفه تعنيفا شديدا.

وفي رسالة أخرى:

((أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ؛ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ؛ وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ؛ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً؛ ولا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً. تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. ولَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً. لَجَمَلُ أَهْلِكَ؛ وشِسْعُ نَعْلِكَ؛ خَيْرٌ مِنْكَ؛ ومَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْر؛ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ؛ أَوْ يُشْرَكَ

---

(١) نهج البلاغة,تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٤١٣/٤١.

فِي أَمَانَةٍ ؛أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ؛ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا؛ إِنْشَاءَاللَّهُ))[1].

يلاحظ هنا أن الإمام لم يسلك المسلك التقريري المتأني بل سلك الأسلوب الخطابي بما فيه من طباقات واستفسارات، وإيقاع هذا النص إيقاعا سريعا ينبئ المرسل إليه بعجلة أمر الرسالة وحسم الأمر فيها.

وكرر(عليه السلام) الأصوات في هذا النص بشكل لافت للنظر في نهايات الجمل (الفواصل) فقد تكرر صوت الكاف ثمان مرات؛ أغلبها في آخر الفاصلة: (منك، عنك، آخرتك، دينك، اهلك، نعلك، منك، صفتك).

وتكررت الهاء مرتين في (هديه) و (سبيله) والدال كذلك في (انقيادا) و (عتادا) أمّا الراء فثلاث مرات (ثغر، امر، قدر) ثم التاء مرتين (أمانة، خيانة). وقد أسهم التكرار هنا في تحقيق التماسك النصي المرسل

(١) م.ن: ٧١/٤٦١-٤٦٢.

ولاسيما أن ضمير المخاطبة الكاف قد تكرر سبع عشرة مرة. موزعا في أثناء الرسالة.

إلا أن محور التمركز في رسالة الإمـــام كـــان في التوازي التركيبي الذي ظهر بوضوح، يعود ذلـــك إلى غرض الرسالة في التأكيد على الفكرة الواحدة، قـــراءة وسماعا باعتماده على كثير من الاستنتاجات المنطقية التي تدور حولها فكرة التقريع فضلا عن التقفية في كثير منها أضفى لها المعنى الذي تؤتاه، فلهذه المجانســـة الوزنيـــة التركيبية في العبارات وعدد الكلمات وعدد الحـــروف من التقارب ما كرّس الطابع الجمالي في الـــنص؛ فهـــي تناظرات صوتية وتقابلات معنويـــة عكســـت صـــورة الغضب وترجيع الألم في نفس الإمام (عليه السلام).

تعمر دنيـــاك بـــخر اب أ خرتك
وتصل عشـيرتـك بـقطيعة د ينك

فعل مضارع

مفعول به(مضاف) ضمير المخاطب(الكاف)(مضاف اليه) تقفية

حرف جر (الباء)

اسم مجرور به وهو مضاف مضاف اليه مجرور

يُسد به ثغر

ومن كان بصفتك فليس باهل أن أويُنفذ به أمر سجع أويُعلى له قدر وكلها تكونت من فعل مضارع مبني للمجهول ثم جار ومجرور ثم نائب الفاعل.

فهو حين ينتقي ألفاظا موسيقية كهذه لها القدرة على الإيقاع الداخلي المتردد.. عله أراد بترددات الصوت تردد الصفعات المتتالية بدفعات متجددة من الإحساس والانفعال وكأني بالأمير يأخذ الصوت بيده (دا.. دا) فيستعمله كسوط حاد الضربة ثم يرخي فينقله

بعد مدة إلى اليد الأخرى ليضربه بوقع آخر كأن تكون الراء بتكرارها ورنة صوتها الممتزج بصوت التنوين المقترنة به (رون.. رون...رون) في (ثغر، أمر، قدر) وهكذا في بقية السجعات.

ثم يقطع كل هذه الضربات الإيقاعية منبها الأسماع ومفاجئا الأذهان بسرعة هذه الخاتمة وقطعها (فاقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله) فهي قطعا ولا شك خاتمة الرسالة وياها من خاتمة عززت لنا كل ما توصلنا إليه في متنها من معاني الغضب والسرعة معا فهو يحسمها بالأمر الجزم بـ (الإقبال إليه فور وصول الرسالة).

د ـ الوعظ والإرشاد:

إن للوعظ والإرشاد النصيب الأكبر من رسائل الإمام. فلا يمكن أن تخلو رسالة من رسائله منه سواء أكان هذا الوعظ دينيا أم اجتماعيا أم سياسيا.

إذ كان (عليه السلام) عارفا بأمور دينه ودنياه قادرا على اكتشاف ما في نفس المقابل محاولا التأثير في

سلوكه، (فنهج البلاغة يعـــج بالســـلوكيات البشـــرية المختلفة وأبعادها، ويجعل المتطلع وكأنه يرى ويـــتلمس الشخصية بحواسه المختلفة وكله شـــفق في هـــذا الـــيم العظيم الذي يرى فيه وصـــف الاســـتقرار الســـلوكي والتخبط السلوكي)[1] وكانت السياســـة واضـــحة في رسائل أمير المؤمنين إلى ولاته وعهوده ووصاياه إلا أَننـــا اخترنا أن ندخلها مع غرض الوعظ والإرشاد لأنها كلها تصب في الإرشاد والتوجيه الذي خدم الأمـــة عامـــة؛ لندرس الوعظ على قسمين: (وعظ ديني اجتمـــاعي و وعظ سياسي).

١ ـ الوعظ الديني والاجتماعي:

هو ما عبّر عنه بـــ (احي قلبك بالموعظة)[2] أي انك إن تمسكت بحبل الله وعروته فلا تدع الغفلة تمت قلبك، أمّا الموعظة: فهي جذب الخلق إلى الحق، وأما الواعظ: فهو الذي يوجد حالة الانجذاب في الإنسان نحو الفضائل

---

(١) المحنك(هاشم حسين المحنك) , علم النفس في نهج البلاغة: ٩٥.

(٢) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٩٢/٣١.

الإلهية،وهو العامل المسبب لهذا الانجذاب. أمّا المتعظ:
فهو الشخص المنجذب[1] ؛
والإمام هو الذي يدعو إلى التعلم وتعليم الخلق، فهو القائل: ((رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ)) [2] .

ويعد التكرار من أهم المظاهر الصوتية في أساليب الوعظ والإرشاد وقد كرر الإمام الصوت الواحد.

كصوت الراء في هذا النص: ((أحي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ؛ وأَمِتْهُ بالزَّهَادَةِ وقَوِّهِ بِالْيَقِينِ؛ ونَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ؛ وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ؛ وقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ؛ وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا؛ وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ؛ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ؛ واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ؛ وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ؛ وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا؛ وعَمَّا انْتَقَلُوا؛ وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا))[3].

---

(١) آملي (جوادي آملي) , الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة: ١٣٣.
(٢) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح):باب الحكم :٤٨٧/١٠٧.
(٣) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح): باب الرسائل:٣٩١/٣١.

فجاء صوت الراء مع أفعال الأمر التي كما نعلم أن وقعها يكون أقوى من وقع الكلام الخبري العادي، فاسمع إلى هذه الأوامر التي أثقلها صوت الراء بتكريره وضربه:(نوره؛ قرره، بصره، حذره، إعرض؛ ذكره؛ سر؛فانظر)وكأنه بترجيعه يؤكد ويشدد التمسك بهذا الأمر وإن التضعيف الذي حصل مع الراء في أداء مهمته جاء للإلحاح والتأكيد وأعطى دلالة صوتية واضحة لكل لفظة جاء فيها وبقدر ما أوحته اللفظة مفردة نجد الألفاظ تكتسب بالتحامها دلالة أعمق يوحيها السياق.

وهناك تكرار صوتي فضلا عن تكرار الحرف المفرد أو تكرار اللفظة وهو تكرار فقرة أو جملة بأكملها مثاله: ((وأصدع الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ؛ ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ؛ فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ؛ فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ))[1] .

(١) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٨١/٢٥.

هذا الكلام من وصية كتبها لمن يستعمله على الصدقات فهو في تكراره لعبارة (فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره) إنما يؤكد على عدم الاعتراض لاختيار المتصدق بما أراد التصدق به وفاء لحق الله...ومن أنماط التكرار الجملية أيضا تكرار لفظة (الله) في:

((اللَّهَ اللَّهَ فِي الأيْتَامِ فَلا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ؛ ولا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ؛ وَ اللَّهَ اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ؛ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ؛ واللَّهَ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ لا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ؛ واللَّهَ اللَّهَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ؛ واللَّهَ اللَّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا؛ واللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[1].

وقد تناوله الدارسون لجماله وقوته، مع هذه التكرارات التي سجلت علامة فارقة على جسد النص، وهي

(١) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٤٢١/٢٥-٤٢٢.

تكريرات لفظية تتمركز حول لفـــظ الجلالـــة (الله الله) الذي تكرر تركيبه ست مرات على التوالي مقترنـــا في كل مرة في قيمة إنسانية وإسلامية تختلف عن التي تليها، وقد جيء بهذا التكرار بوصفه قيمة دلالية يتم التأكيـــد من خلالها على المفاهيم التي أوجزها(عليه السلام) وهو على فراش الموت.

وقد رصفت ظاهرة التكرار في الوصية بطريقة بدت متسقة بتلقائية خلقت إيقاعا داخليا تأكد حضوره عن طريق تجانس الأصوات مع دلالات العبارات المركزية وهي (لفظ الجلالة) فالصلاة والقرآن والجهاد وبيت الله (الكعبة) والأيتام والجيران ؛ تتجانس مع ما يحققه لفظ الجلالة من حضور روحي يستدعى استحضار القيم الروحية والاخلاقية والانسانية التي وجدت من اجلها ظاهرة التكرار في النص [1].

غير أن ثمة ما يدعو إلى تكرار لفظ الجلالة فضلا عما له من اثر صوتي، فالإمام في موضع التذكير بالله لهذا

---

(١) الموسوي (نوفل هلال عبد المطلب الموسوي) ,مستويات الشعرية في كتاب نهج البلاغة: ٧٠.

قصد إلى إشاعة جو من الحنين والشوق بتكرار لفظ الجلالة، ومثل هذا محمود على جهة التشوق والاستعذاب أو على سبيل التنويه والإشارة إليه أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه[1].

وفي كتاب أرسله لابن عباس: ((أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ؛ ويَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ؛ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ؛ ولْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا؛ ومَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً؛ ومَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً؛ ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ))[2].

هذا الكتاب الذي حمل أروع العبر والمواعظ وأجمل ما يتصور المرء من المعاني الجليلة، زد على ذلك أساليبه

---

(١) الفحام (عباس علي حسين الفحام) , التصوير الفني في خطب الإمام (عليه السلام): ١٤١.

(٢) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٧٨/٢٢.

الفنية الرائعة ؛ ونحن نعرف ؛ إن الكلام إن كان خلوا من المعاني الجليلة، فلا فائدة من الأساليب الرفيعة[1].

وهذه المقاطع مبنية على تعادل في الفقرات المزدوجة في تلازم موسيقي معتدل وهذا جدول توضيحي بذلك:

قد يسره درك ما لم يكن ليفوته	ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه
فليكن سرورك بما نلت من آخرتك	وليكن اسفك على ما فاتك منها
وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا	وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا

وجدول آخر يوضح التضاد الحاصل:

(١) عبده (محمد عبده) , في مقدمة تحقيقه لكتاب نهج البلاغة : ٨.

الكلمة	ضدها
يسره	يسوؤه
درك	فوت
ليفوته	ليدركه
سرورك	اسفك
نلت	فاتك
فرحا	جزعا

وكان لهذه المظاهر الضدية المتوازية مهمة أساسية في بناء فكرة الرسالة أولا؛ وفي خلق الإيقاع المزدوج ثانيا. فان ذلك خلق نوعا من التراجع لدى المتلقي ؛إذ أَنه متى ما بنى توازيه على تركيب معين عاد إليه ثانية ليناسب ذلك التركيب.

واجتماع الألفاظ في تراكيب متقابلة عزز المعنى التقابلي والأثر الإيقاعي في الوقت نفسه، فأساس هذه الظاهرة الصوتية تبديل مواقع الكلمات لخلق دلالة عميقة المعنى عن طريق شحن الإيقاع لهذا التبديل وخلق إطار جمالي للمعنى إذ أراد (عليه السلام) التركيز والتأكيد على مسألة الفوت والدرك في ثلاثة تراكيب متقابلة عزز احدها الآخر.

ومما حققه الطباق أيضا تهيئة المتلقي لقبول انعكاسات الرؤية الفلسفية للإمام وكأنه يرسم الوضع المتقلب للناس في هذه الدنيا والحال المتأرجح بين الرضا والسخط.

*ومن جماليات النظام الصوتي الذي يتبعه الإمام ليؤثر في السامعين نوع آخر من المقابلات يتضح لنا في هذا النص: ((وظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ؛ إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً؛ رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً؛ والدَّاءُ

دَوَاءً؛ ورُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ)) [1].

ففي هذه المقابلات نجد التناظر الإيقاعي على نحو يجسد الإحساس بالدلالة التي يومئ إليها. وهذا ما وجدناه في المقابلات السابقة.

لكنه استعمل هنا الألفاظ ذاتها في قلب المعنى، وذلك من خلال تقديم اللفظة وتأخيرها (تغيير موقعها). فالجملة الأولى إذا كان الرفق خرقا قلب معناها بتقديم (خرقا) على (الرفق) فصارت (كان الخرق رفقا).

كذلك(ربما كان الدواء داءًا) فقلبها بتأخير (الدواء) وتقديم لفظة (داء)فصارت: والداء دواءا.

فقد تضافرت البنيات الصوتية بتنوع منحها حيوية إضافية عبر ضربات إيقاعية بتبديل مواقع الكلمات

(١) نهج البلاغة , تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣١ /٤٠٢.

وقلب صياغتها واشتمالها على تقابلات في المعاني والتراكيب والمفردات واثر ذلك في تحريك سواكن الوحدات الصوتية بين حين وآخر.

٢ ـ الوعظ السياسي:

لم يخل نهج البلاغة من هذا الجانب الحيوي الذي كان يلازم التطور الحضاري للمجتمع العربي الإسلامي في تهيئة الكادر العسكري ومناهجه ورفع الروح المعنوية وكل الجوانب السايكالوجية.. ففي جانب تهيئة الكادر واختياره يتم وفق منطق أو مصطلح الجهاد الذي يدعو كل من يتمكن على حمل السلاح، سواء كان من ضمن الجيش النظامي أم عامة الرعية، للمشاركة في المعارك ضد العدو الذي يناهض الإسلام[١].

ويتركز هذا الوعظ أو التوجيه في عهوده إلى عماله على الأمصار ووصاياها التي يبعثها للجيش؛ ومن هذه الكتب:((وتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ؛ ولا صَلاحَ لِمَنْ

---

(١) المحنك (هاشم حسين المحنك) , علم النفس في نهج البلاغة: ١٠١.

سِوَاهُمْ إِلا بِهِمْ؛ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وأَهْلِهِ)) [1].

فانظر إليه كيف أدار(عليه السلام) لفظة الصلاح في هذا النص إدارة رائعة فقد ورد المصدر (صلاح) أربع مرات والفعل منه (يصلح) ورد مرة واحدة، موزعا إياها في أثناء هذا المقطع لاستيقاف المتلقي هنيهة واستشارته ليستخرج أعمق ما يمكن أن يصل إليه من المعاني وكأن المعنى في فلك يدور كدوران اللفظة:

صلاح أمر الخراج ←— صلاح أهله ←— صلاح كل الناس.

وكرر الإمام اللفظة للتنبيه والتأكيد على أمرها بما يضمن تحقيقها.

وكان مما يقوله لأصحابه عند الحرب:((لا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ؛ ولا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ ؛وأَعْطُوا

---

(١) نهج البلاغة تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٤٣٦/٥٣.

السُّيُوفَ حُقُوقَهَا؛ووَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا؛واذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ؛ والضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ ؛وأَمِيتُوا الأصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ ؛فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا؛ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا؛وأَسَرُّوا الْكُفْرَ؛ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ)) [1].

فمن النظر الى النص نجد إن الإمام قد استعمل الأصوات المشددة (المضعفة) في كثير من ألفاظه فبلغت الألفاظ التي جاء فيها التضعيف خمس عشرة لفظة.

وتشديد الحرف يعني زيادة مدة النطق به حتى يمكن أن يقال إن الصامت المضعف هو صامت طويل، من وجهة نظر حديثة[2]، وسبق لنا القول إن زيادة الصوت (اللفظ) تؤدي إلى زيادة المعنى المتأتي منها.

وهذا يوصلنا الى أن الإمام قصد إلى تحميل عباراته معنى مكثفا لا يقف عند حدود اللفظة التي جاء بها.

---

(١) م.ن : ك١٦/٣٧٤.
(٢) شاهين (عبد الصبور شاهين) , المنهج الصوتي للبينة العربية: ٧٠.

ونلاحظ أيضا في النص تكرار صوت السين بين حين وآخر مما له من صفير شديد الوضوح إذ ظهر في سبعة مواضع (السيوف، أنفسكم، الدعسي، النسمة، اسلموا، استسلموا، اسروا) وعزز صفة الصفير في النص تكرار صوت الفاء في عشرة مواضع (فرة، السيوف،أنفسكم، الطلحفي، فانه، الفشل، فوالذي، فلق، الكفر، فلما).

فضلا عن الصاد في (مصارعها، الأصوات) والشين في (لا تشتدن، الفشل) والذال في (أذمروا، الذي).

كل هذه الألفاظ جعلت من حفيفها صفيرا اكسب النص قوة وقدرة على التأثير في سامعه، جاعلا في صفيرها شدة وحدة تشد من نشاط متلقيها وعزمهم على الخروج بهمة إلى الحرب.

وكهذه الأصوات يبرز صوت العين الذي وظفه الإمام في النص توظيفا ناجحا بما لصوت العين من قدرة فائقة ــ كما تحدثنا عنها في مواضع سابقة ــ على إضفاء طابع الشدة والقوة والعنف وورد استعمالها بهذه الدلالة

في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَـنَّمَ دَعًّـا ﴾(الطور:١٣) .

﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾(البقرة:٥٥) .

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(الحاقة: ٦) .

وورد في النص في عشرة مواضع:

(عليكم، بعدها، بعدها، وأعطوا، مصـارعها، علـى، الطعن، الدعسي، أعوانا، عليه).

فتردد قرع صوت العين علـى الأذن بتفـاوت بـين الأصوات الأخرى وبعدم نظام بين الأ حرف أو انتظـام مطلق في تركيب الأصوات والكلمات والمقاطع بل تجد الأصوات المكررة الموزعة بنسب متفاوتة.و لا يخلو هذا النص من الموازنات الصوتية المسجعة:

فرة بعدها كرة	جولة بعدها حملة
أعطـــوا الســـيوف حقوقها	وطئوا للجنوب مصارعها
الطعن الدعسي	الضرب الطلحفي
فلق الحبة	برأ النسمة

ومن الجناس والسجع المزدوجين: ((ولَكِنَّنِي آسَـــى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وفُجَّارُهَا؛ فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وعِبَادَهُ خَوَلاً ؛والصَّـــالِحِينَ حَرْبـــاً والْفَاسِـــقِينَ حِزْباً))[1].

فالتوازي الصوتي جاء في:

مال الله دولا	وعباده خولا
الصالحين حربا	والفاسقين حزبا

(١) نهج البلاغة , تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٤٥٢/٦٢.

وجاء الجناس والسجع في (حربا = حزبـــا) و(دولا = خولا) وفي الاخيرة أيضا التزام الواو قبل الـــلام وهـــو لزوم ما لا يلزم. وكل هذه الظواهر الصوتية والألـــوان الموسيقية إنما جيء بها وفق ما تتقبله الـــنفس الإنســـانية وترغب إليه.

وأخيرا فان ما لاحظناه في الوعظ بنوعيه أن السجع قد طبع كلام الإمام جله، إذ لم يقتصر على موضـــوع دون موضوع فهو واحد من أدوات الإمام الفنية الرئيسة في صياغة معانيه، يؤثره كلما قصـــد إلى الأداء الفـــني في التعبير[1]، وهذا لا يتعارض مع قولنا السابق في أنه يتعالى بتعالي أوقات الغضب والانفعال، والســـجع في وعـــظ الإمام ولاسيما في الوعظ السياسي اقل مقارنة بغـــرض غيره، إذ نجده هادئا راشدا، يأخذ في اغلب الأحيـــان في الاسترسال مع قطع هذا الهدوء بـــين الحـــين والآخـــر بالأنماط الموسيقية لكسر روح الرتابة وتخليص المتلقي من الملل.

---

(١) الفحام (عباس علي حسين الفحام) , التصوير الفني في خطب الإمام علي(عليه السلام): ١٥٢.

هـ ـ الفخر

يفخر علي بن أبي طالب (عليه السلام) بما ميزه الله بـــه من غيره ؛ وما خصه به من الكرامة وما وفقه لـــه مـــن الإيمان ورؤية الحق ؛ فهو لا يتردد ولا يتوانى عن الفخر في كتبه بأهم أمرين...قد صرح بهما ويذكرهما دائما:

أ– الفخر بنسبه وقرابته من رسول الله(صلى الله عليـــه واله وسلم).

ب– التباهي والفخر بشجاعته أمام أعداء الدين متحديا الفرسان والأبطال.

فجاء ذلك في كثير من كتبه منها كتابه إلى عثمان بـــن حنيف عامله على البصرة: ((وأَنَا مِـــنْ رَسُـــولِ اللَّـــهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُـــدِ واللَّـــهِ لَـــوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا؛ ولَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا))[1].

---

(١) نهـــج البلاغـــة ,تحقيـــق الصالح(صـــبحي الصالح):٤١٨/٤٥.

نجد في هذا النص فخرا واضحا في نسبه من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويزداد فخرا بذكر شجاعته فلا يهتم ولو تظاهرت كل العرب عليه. ومن كتبه إلى معاوية:((وأَمَّا قَوْلُكَ: (إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ) فَكَذَلِكَ نَحْنُ ؛ ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ؛ ولا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِب؛ ولا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِب؛ ولا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ؛ ولا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ؛ولا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ؛ ولا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ؛ ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ ؛ولَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً؛ وأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً؛ كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً؛ عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ؛وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ؛ فَلا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً؛ ولا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً والسَّلامُ))[1].نجد في النص المتقدم موازنات لها موسيقى عالية تمثلت بالتوازي شبه التام في تراكيب الجمل القصار

---

(١) م.ن:١٧/٣٧٥.

هذه الموسيقى التي تتعالى بزيادة الموازنات. ثم تواجد السجعات وفق تنظيم ثنائي في (مطلب – طالب) و(الطليق– اللصيق) و(المبطل– المدغل) كل ذلك استعمله في مقابلات صوتية تتضمن تقابل المعاني فضلا

عن تقابلها الصوتي لإبراز مدى تفضله عن غـــيره مـــن خلال سياقات المقابلة التي جعلت المعنى ابعـــد أثـــرا في النفس وموسيقاه العالية ساعدته ليكون الصق ما يكون في ذاكرة القلب بحيث لا ينسى أو تندثر آثاره.

ومما زاد في الأثر الصوتي تكرار حرف العطف (و) مـــع أداة النفي (لا) فكررها في بداية ست فقرات. ثم تأخـــذ هذه الموسيقى بالهبوط قليلا لترتفع مرة أخرى في ختـــام الرسالة:

السبق بسبقهم

على حين

ذهـــب المهـــاجرون الأولـــون بفضلهم

للشيطان فيك نصيبا

فلا تجعلنّ

ولا على نفسك سبيلا

ولم يقف الأثر الصوتي عند هذا الحد في إبـــراز معـــاني النص المرادة بل نجد اثر الطباقات المتتالية التي عبرت في انعكاساته وأبلغت عن سعة الفجوة التي فصـــلت بـــين المرسل (عليه السلام) وبين معاويـــة بـــن أبي ســـفيان، وحجم المقام الذي خصه الله به:

الكلمة	ما يقابلها
المهاجر	الطليق
الصريح	اللصيق
المحق	المبطل
المؤمن	المدغل
الخلف	السلف

العزيز	الذليل
طوعا	كرها
رغبة	رهبة

وفي كتاب آخر لمعاوية متعجبا من كتاب بعثه له:((وأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ ومِنَّا النَّبِيُّ ومِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ؛ ومِنَّا أَسَدُ اللَّهِ ومِنْكُمْ أَسَدُ الأحْلافِ؛ ومِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ومِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّار؛ ومِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؛ومِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ)) (١).

فمعاني الفخر واضحة وضوح الشمس عبّر عنها بأسلوب المقابلة الذي غالبا ما يستعمله ويفضله في الفخر وأسس عباراته على بداية واحدة لتقريبها من النفس ؛ فناوبَ في بداياتها بين ضمير المتكلمين مرة وضمير المخاطبين مرة مرتبطا بـ(من) التي تفيد التضمين فصارت هكذا:

(١) نهج البلاغة , تحقيق الصالح(صبحي الصالح): ٣٨٧/٢٨.

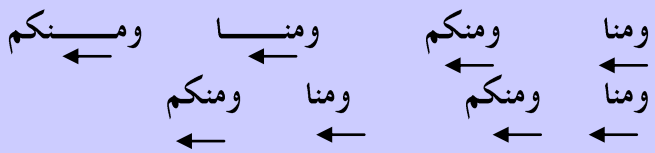

الكلمة	يقابلها
ومنا النبي	ومنكم المكذب
ومنا أسد الله	ومنكم أسد الأحلاف
ومنا سيدا شباب أهل الجنة	ومنكم صبية النار
ومنا خير نساء العالمين	ومنكم حمالة الحطب